إيليا أهرنبورغ

إذا أردتَ أنْ تعِيشَ

دار القلم
بيروت

إيليا أهرنبورغ

إذا أردتَ أنْ تعِيشَ

دار القلم
بيروت

ابطال الثقافة [1]

« ونستون تشرشل لا يستطيع ان
يختبيء وراء تمثال شكسبير »!

•

كانت صحف أوربا الغربية وامير كا لثلاثين سنة خلت مفعمة بالانباء المثيرة «حول الأحداث الجارية آنذاك في روسيا. وكانت صحف (الماتان) و (المورننغ بوست) و (الدايلي ميل) تنبيء قراءها بان الجماهير قد اغتصبت السلطه في بتروغـــراد ، وان البلاشفة قرروا البدء بتأميم النساء ! ! والغاء الرياضيات ! وبالتالي فان غايتهم هي فتح العالم واقـــامة ذرع من التشيكا حتى ... في استراليا .

كان يرى على الجدران، اعلانات تمثل بلشفياً يحمل سكيناً بين أسنانه . وكان رجال السياسة والخطباء والمبشرون المرموقون

---

١ ــ نشرت في نيسان ١٩٤٨

لا يتكلمون الا عن انقاذ الحضارة من خطر البولشفية .

سأمتنع عن التذكير، كيف حاول هؤلاء السادة انقاذ المدنية من البلشفية . لم يكتفوا بالقاء الخطب فحسب ، بل عمدوا الى ارسال الارهابيين المجرمين والمتآمرين المهرة ، والجيوش العديدة ، والفصائل الصغيرة التي يصعب القبض على أفرادها ، ضد جمهورية السوفيات . لقد حاولوا ، عن طريق المجاعة القضاء على بلدنا الخارج على طاعتهم ، وكانوا يقومون بدسائس دبلوماسية معقدة ولم يترددوا أبداً في استعمال أحط الأساليب .

لقد غدا قسم كبير منهم في عالم الاموات أما الآخرون فما برحوا في قيد الحياة ، يتابعون نشاطهم غير الشريف والقليل الجدوى . أما البعض ممن هم أكثر مرونة ، فقد تكيفوا حسب الحالة الجديدة .

لقد قضى تشرشل سنين عديدة من حياته الصاخبة، باذلا جهداً جماً للقضاء على الاتحاد السوفياتي ، بالنار والحديد ، ولم يمنعه ذلك فيما بعد ، عن امتداح الرجال السوفياتيين الذين لم يقبض له فناؤهم، كما ان هذا المديح لم يمنعه اليوم من الصراخ مرة اخرى، للقضاء على الاتحاد السوفياتي .

أما هربرت هوفر ، أظهر تفكيراً ينسجم مع نفسيته ، وبقي وفياً لعبارته التي فاه بها سنة ١٩٣١ : « والحق يقال ان هدف حياتي هو هدم روسيا السوفياتية » .

يمكننا أن نرثي لحال هذا الرجل المسكين اذ لم يعد له سوى

سنين معدودات من العمر ، ولم يرِ بعد نهاية الاتحاد السوفياتي . ومع ذلك فلا يزال يتابع الكلام حول ضرورة محو الاتحـــاد السوفياتي ، لانقاذ الحضارة الغربية ».

ان « الدفاع عن الثقافة الغربية» هو لحنهم البالي ، ولكنه لحن ذو أنغام شتى : فروزنبرغ يحب استعمال نغم « ثقـــافة الشمال » ومنذ قليل سمعنا ترداد هذه العبارة « ثقافة الأتلنتيـك » . واذا كان المستر هاريمان حافظ في خطابه الأخير ، على النمط الكلاسيكي ، بطلبه الدفاع عن « الثقافة الغربية » ، فان مسيو بيدو سمح لنفسه بان ينحرف ، اذ انه بعد مائة وخمسين سنـة من الثورة الفرنسية ، يدعو مواطنيه للدفاع عن « الحضارة المسيحية والغربية ».

ان مستر هاريمان ، وزير التجارة ، يلم بمشاكل التجارة أكثر من المامـه بمشاكل الثقافة الفكرية. وتلك النداءات المضحكة الرعناء التي كان يوجهها الى المراسلين الاميركيين لأنقـاذ « الثقافة الغربية » من شعب « تولستوي» و «ماندلييف» و « موسورسكي» ليست على شيء من الغرابة.

لقد مضى ثلاثون سنة ، ووزراء وقواد عسكريون وأصحاب بنوك وصناعيون وغيرهم من رواد « الثقافة » لا يزالون يدعـون الى افناء الدولة السوفياتية تحت ستار الاهتمام بمصير الحضارة ؟ ؟

واذا تحرينا عن كتب حيـاة رئيس الولايات المتحدة هربرت هوفر ، هذه الحياة الطويلة والجافـه ، نرى ان الشيء الذي ملك عليه اهتمامه دائماً ، هو الدولارات . وان الدفاع عن الثقـــافة

الغربية ، ليس في نظره ، سوى دفاع عن الاستثمارات البترولية في (مايكوب) ضد تأميمها من قبل السوفيـــات . ولكن مستر هوفر ، لم يرفع صوته عالياً ، بذكر شيء أكثر كراهية من رائحة البترول ، سوى تأكيده : « بأن وجود النظـام السوفياتي يجعل حاضر وماضي ومستقبل حضارتنا الغربية في خطر ».

ان السير « هنري ديترونيك » الملقب بملـــك البترول ليجن جنونه لذكر كلمة باكو فقط . لقد نظم غارة « حمـاة السلم » ضد التمثيل السياسي السوفياتي في لندن. ولما اتضح له ان عملية كهذه لا تكفي لضعضعة الأتحاد السوفياتي ، بدأ بتهيئة الغزو الألماني على باكو . ولم يتأخر عن ذكر « الحضارة الغربية » بقوله « نحن نحمي القيم الأخلاقية المثلى من الشيوعيين ». لم يرق « لايفان كروجر » الملقب بملك عيدان الكبريت ، رؤية كثـير من أحراش الشجر الذي يصلح لصنع هذه العيدان ، في الاتحاد السوفيـاتي ، فتفوه بهذه المغالطة : « ان الحضارة الغربية منذ عهد الأغريق الى يومنا هذا هي في تعارض دائم مع المبادىء الأساسية للنظام السوفياتي». وكان تجار القمح الأرجنتينيون يشمئزون لفكرة ان القمح ينضج في أرض الاتحاد السوفياتي ، ففي سنة ١٩٣٢ ، بعد ان ذكـر ممثل الأرجنتين كلمة حول تدهور أسعار القمح صرح بحرارة « أن مصير الحضارة في الميزان ».

أيلزم القول أن الغزاة الألمان لم يكتفوا بالتشدق عن «المدى الحيوي » بل تعدوه إلى الكلام عن « الثقافـــة الاوربية » ! ان

رئيس تروستات الفولاذ فوكلر والسادة رؤساء تروستات الصناعة الكيماوية ، يجاورون روزنبرغ وهوغنبرغ في تحمسهم للدفاع عن « الحضارة الاوربية » ضد البلاشفة . أما هتلر فقد كرس لهذه القضية المثيرة ، أكثر الصفحات عناية في كتابه كفاحي .

ان جمهورية السوفييت لم تتخط هذه السفسطات فحسب بل خرجت ظافرة من حربين الاولى نظمها حلفاء سنة ١٩١٤ والثانية نظمتها النازية الالمانية . وهذا ما يجعلنا لدى قراءة اتهامات هاريمان المطابقة لفكرة المهوشين الكلاسيكيين ، أن لا نستشعر بتأثير عميق . لقد تعودنا كثيراً من الاشياء . ويمكننا القول : بأن قيام هاريمان بعمله في سنة ١٩٤٧ هو أكثر صعوبة من قيام سابقيه (المفكرين) بعملهم سنة ١٩١٧ لان رجال الغرب قد تعودوا أيضاً ووقفوا على كثير من الامور .

حدث مؤخراً في فرنسا فصل طريف ، وكان ذلك في مؤتمر الحزب الراديكالي الذي يشبه أي اجتماع عام يعقد في مكان ما من ولاية المسيسبي أو الأبالاما . اذ طالب دالاديه بعنف ، تطبيق وسائل سريعة لتقييد الاتحاد السوفياتي . وكان هريو المسالم يرأس هذا الحزب الداعي للحرب في إحدى هذه المؤتمرات المليئة بالتناقض ، والكثيرة الحدوث في فرنسا . من الممكن أن هريو نفسه لم يشعر بالتغييرات التي طرأت على حزبه في هذه السنين العشر الاخيرة أو إن الراديكاليين الجدد لم يفهموا بأن هريو ليس أهلاً لوظيفة السمسار الاميركي ؟ ؟ لقد صرح هريو عندما اعترى

الجل دالاديه وغيره من الخطباء « أقول وأعيـــد بان أوروبا الغربيه ليست سوى شيء مصطنع، ان هذا المفهوم لاوروبـــا له أساسه الهتلري وهو من الخطورة بمكان ».

لا يخفي كم أغضبت هذه الاقوال ، الفرنسيين الذين يعتبرون أن ليس من اللياقة التلميح لحوادث ١٩٣٩ - ١٩٤٥ . أن تنهد هريو لم يمنع ، لا هاريمان ولا تجار الرقيق في كارولينا الجنوبية من ترديد نداءاتهم للدفاع عن « الثقافة الغربية ». يوجد أصناف من الاوروبيين تردد نفس النغم مـــع الاميركيين : كديغول وتسالداريس والمصدرين السويسريين و كتائب فرنكو ومتنسكي الفاتيكان وسباك و « ديموقراطي» مقاطعة الروهر الحديثي الوجود والفاشستي الايطـالي مالابارته الذي وصـف سيره المظفر في اوكرانيا ، واعتبر لهذا الغرض من الكتاب المرموقين ، وتجار الرقيق الابيض في مرسيليا ، المستعمرين الانكليز الذين أصبحوا يضيعون مستعمراتهم كما نضيع محارم الجيـب ، والمتحذلقين الفرنسيين الذين أصدروا منذ زمن قليل مجلة تحمل عنواناً فسر نفسه بنفسه وهو: حصان طرواده. لنرى تحت أي شكل ستكون أغنيتهم في هذا الخريف المضطرب من سنة ١٩٤٧ .

لقد قال هريو أنه لا يمكنه أن يتمثل مفهوم «أوروبا الغربية» كوحدة سياسية واقتصادية أمام «أوروبا الشرقية» غير موجودة، فمن أين اذن أتى هاريمان وديغول و كتاب حصان طرواده » بـ « ثقافتهم الغربية » ؟ ؟

يجزمون في المدارس الثانوية وفي الكليات ، بان بلاد اليونان القديمة كانت مهد الحضارة الاوربية ، ولكن ألم يرث الحضـــارة الروسية تراث الاغريق العظيم ؟ ؟ بيد اني أعـــلم بان المهندسين المعماريين في شرقي اوربا وغربها قد استوحوا فنهم بنسبـة متساوية من (البارتانون) ، ولن أذكر اميركا ، حيث يوجد عدد لا بأس به من البنائين ، ولكن ، ينقصها ، حتى هذا الوقت ، المهندسون الفنيون المعماريون . وباي حق يزعم هاريمان بان تراث اليونان القديمة الفكري هو من احتكاره ؟ ان في وسعهم استملاك ارض اليونان (ويعلم ذلك هاريمان اكثر مني) ولكنهم (ولو بموافقـة هيئة الامم المتحدة) لا يستطيعون استملاك ، لا الاكروبول ولا تمثال ،ضرساً موتراس ولا انجيلوس الكاتب. ولكن لو ان مادحي « الحضارة الغربية » يهتمون بتاريخ الفن بقدر ما يهتمون بالقنابل الذرية ، لعلموا ان روح الاغريق قد وصلت الى البعض عن طريق روما والى الاخرين عن طريق بيزنطه. ومن المشكوك فيه بان هذه ادنى من تلك .

ان الرسام الفرنسي الكبير هنري ماتيس صرح اكثر من مرة بان « اندره روبلييف » يمثل أرفع ما وصل اليه فـن الرسم القديم وان آثار اندره روبلييف تقارب في ابداعها انتاج اساطين الفن القديم . وقد عبر اندره روبلييف هذا في اثاره ، عن كل صفـات الفن القديم الخاصة وهي : الانسجام والروح الانسانيـــة والحرية الكامنة ، بصورة تختلف نسبياً ، ولكنها لا تقل قيمـــة عن اثار

سيمابويه وجينو . وما قلته عن فن الرسم ينطبق ايضاً على الينابيع الاساسية للاداب والتمثيل والعلوم .

نعم ، ان حياة روسيا منذ ستة قرون تختلف كثيراً عن حياة فرنسا او ايطاليا. ولا يخفى ان شعب روسيا قد صد غزوات شعوب آسيا التي كانت تتدفق على اوربا . ولكن هل تشبه حياة البريطانيين القاطنين في جزيرتهم ؟ ؟ ايمكن لنا ان نتصور شيئاً اكثر انعزالا وانفراداً من حياة هؤلاء الاخرين ؟ ؟

ثمة كثير من الصفات المشتركة في حياة الشعوب الاوربية كما ان هنالك ايضاً صفات متباينة . وفي عصر ما ، كان شعب ما يشق الطريق الى الامام واخر يرجع القهقرى.

لعل المطبعة الاولى قد وجدت في مقاطعة « الجبل الاسود » قبل ان توجد في انكلترا ، ولكن اهالي الجبل الاسود لا يقولون اليوم : ان من الواجب محو ذكر البريطانيين من تاريخ الحضارة الاوروبية. وبما ان فكرة وحدة الحضارة ، قد تسربت ، في القرن التاسع عشر ، الى اعمق طبقات المجتمع ، فلا يمكننا اذن ان نتصور اوروبا منفصلة عن روسيا ولا روسيا منفصلة عن اوروبا. ان الشعب الروسي الذي يريد بعض القوميين الاجانب ان ينظر اليه كتلميذ كان في الحقيقة ، تلميذاً او استاذاً معاً . وأزيد ، بأن مقعد الدراسة لم يعتبر أبداً في بلادنا شيئاً مشيناً . اننا نعلم بوضوح بان قصائد الرومانطيقيين الروس قد اندمجت

برومانطيقية بلاد اوروبا الاخرى ، ويعلم ايضاً ، كم كان حماس طليعة المجتمع الروسي لثورة ١٨٤٨ ، وللاشتراكيين الغربيين الأول ، ولبدء عصر جديد ينيره شعاع كومونه باريس. لقد كانت أصوات روسيا الصحيحة ، رغم طغيان النظام القيصري ، تشق طريقها منذ ذلك العهد ، الى اوربا. ان هرزن كان صديقاً ومرشداً لكثير من الثوريين وتشيرنيسفكي أثار اعجاب الطليعة في الغرب ، حتى ان فلوبير ، الكاتب الدقيق ، منح تورغنييف لقب « معلم ».

من المشكوك فيه وجود شخصية من الذين يطنبون «بالحضارة الغربية » جاهلة أو متجاهلة لدرجة انها تنكر تأثير الادب الروسي الكلاسيكي والموسيقى الروسية على اوربا واميركا .

ان الـ « بي بي سي » ١ التي ترغب في تقديم برهان عن « موضوعيتها » كانت اذاعة سلسلة من الابحاث حول تأثير القصة الروسية في الادب . الانكليزي وكانت هذه الابحاث صحيحة ، مما ينفي كل تصريحات الـ « بي بي سي » السابقة حول حماية « الحضارة الغربية ».

والافضل ، واذا أردنا الفائدة ، ان نستمع من هذه الاذاعة لسلسلة من الابحاث حول تأثير الرأسمال الاميركي على السياسة البريطانية وخصوصاً على اذاعات « مصلحة الاذاعة البريطانية » .

---

١ ــ الاذاعة البريطانية .

وعندما يريد هاريمان فصل الحضارة «الغربية» عن التمدن الروسي، فانه لا يفتكر قط بتقدم العلوم، ولا بالادب، ولا بالموسيقى، ولكن بالدولارات والدم فقط. وهذا طبيعي لوزير تجارة دولة ترتكز ميزانيتها على بحر من دم الانسان المسفوك او الذي يريدون اراقته. ولكن هل يفتكر الاساتذة والنقاد الاديبون والمؤرخون والفنانون، بما هم صانعون عند تبشيرهم «بالثقافة الغربية ؟ ؟ »

نحن نعلم ان هتلر لم يتأخر عن الاساتذة لممثلي المدنية الالمانية.

فقد شاهدنا حرق اثار «هين» و «مان» و «ماركس» و «انشتاين» ولكن إلى اين قادت هذه «الثقافة الخاصة» التي نادى بها النازيون والتي حاولت تخليص الالمان من الاثار «غير الاريه»، الوخيمة النتائج، شرقية كانت ام غربية ... ؟ لقد رفع النازيون من متاحفهم ومعارضهم كل اثار فن الرسم الفرنسي، وقاموا بحملة ضد ادب القصة، الروسي والانكليزي والفرنسي، لقد كان لالمانيا فيما سبق موسيقى عذبة وشعر جميل. ولكنها لم تكن لتملك ابداً فن رسم جدير بهذه الكلمة ولا قصة كلاسيكية حسنة، وقد افقر النازيون شعبهم معنوياً بقطع علاقاتهم مع كل ثقافة غير «الثقافة الشمالية» كما انهم حرموا الرسامين والادباء الألمان نماذجهم الرفيعة وحرموا الألماني الوسط ايضاً من ان يتمتع بانتاج الفن الحقيقي. منذ عهد قريب اكدت جريدة (كومبا) الفرنسية

لقرائها ، باننا نحن المواطنين السوفيات ، قد قررنا ادانة وطرد كل القيم الكبرى « لثقافة الغرب ». بلى ، لئن وجب ان نعتبر محرري جريدة كومبا المتحمسين لمشروع مارشال ، والتظاهرات السخيفة للسورياليين من قيم الثقافة الرفيعة في الغرب » ، فاننـــا ندينهم ونبعدهم عنا .

اني اسرع الى تطمين محرري الكومبا بان هـــذا لا يخصهم وحدهم ، اذ اننا ندين ونطرد كل مزيفي القيم الساميـة ومشوهي الحضارة الغربية ، ولكننا لن ندين ونطرد فرنسوا فيلون وفكتور هيغو ، وأرثور رابنو ، اننا ندين ونطرد الشعراء البسيطين الذين يمدحون اليوم بالنثر فقط – لحسن الحظ – عظمة المرابـــين الاميركيين والفضائل الانسانية للقنابل الذرية . وبـــدلا من ان ندين ونطرد تراث اوربا الرفيع ، فنحن على العكس، نحافظ بامانة واخلاص على هذا التراث.

ليست الحضارة بالمتاحف فقط ولكنها بالمدارس ايضـــاً . والثقافة ليست رهن المجلدات القديمة المحفوظة في المكاتب ، بل هي ايضاً للاولاد الذين سيصبحون غداً ادباء ، ليست للماضي وحده، ولكنها طريق المستقبل ايضاً . لقد رأيت يوماً ، في احدى جنائن اميروندل بالقرب من لندن ، اناء يونانياً يحمل هذه الكتابة : ان هذا النمط الجميل من الفن اليونـــاني القديم في العصر الذهبي ، وجد في متحف سيباستبول ، بعد استيلاء الجنود الانكليز عليها.

ولا ريب ان هذه الكتابة لا يمكن ان تكون شاهداً على

المستوى الثقافي العالي للمستعمرين الانكليز . فونستون تشرشل لا يمكنه ان يختبىء وراء تمثال شكسبير !

في فترة ثلاثين عاماً ، واجه حكام العالم الرأسمالي ثقافتهم بثقافتنا ومن حقنا ان نذكر بعض النتائج .

عندما خرجت جمهورية السوفيات الى عالم الوجود ، كانت المدافع الألمانية تجهد في دك الآثار الخالدة للفن الغوطي في بلدة ريمس وكان الدم يسيل في كل مكان ، من المانش الى سالونيك . واليوم ، وبعد ثلاثين سنة ، يسيل الدم ايضاً ولكن في اليونان والصين والهند الصينية واندونيسيا . نحن لا ندري اذا كان الرأسماليون قضوا فترة ما بين الحربين في الهدم ام في البناء ؟ بمادة « الأيوزين » ويقتلون البقر الحلوب ويحرقون القطن . كان يوجد في عالمهم ملوك ، ولست اقصد ملوك التمثيل المسرحي ، المحتفظ بهم في بعض المسيطرين الذين لا يساوون اكثر من ريشة في مهب ريح الفوضى الرأسمالية .

اننا لم ننس مقالات التأبين التي كتبت عام ١٩٣٢ . فبعد ان انتحر ملك عيدان الكبريت كروجر وتبعه جورج استمن ملك الاشرطة السينمائية ، وبعد خمسة عشر يوماً لاقى كول ريج ، ملك مكنات الحلاقة ، حتفه ، ثم ملك الفولاذ رونالدريورس ، واخيراً ملك اللحوم المحفوظة سويفت الذي قذف بنفسه من النافذة ، في حالة جنون . لقد تكلمت الصحف عن انتحار هؤلاء الملوك غير المتوجين ، اما رعاياهم الجائعة فكانت تنتحر بدون ادنى

ضجة وبدون ان يحس بها احد ودون ان يتساءل احد: ماذا يخبىء لها الغد !! أأزمة اخرى أم حرباً ايضاً ?? لقد اوجدوا ، الى جانب العسل الاصطناعي والحرير الاصطناعي ، فناً اصطناعياً. وابتدأت هوليود بانتاج سلسلة من الافلام الرخيصة التي يرافقها دائماً ، قتل حتمي ، ورجال تحري ، ولوردات يعشقون فتيات ، ومتشردون ينتهون دائماً بايجاد خطيبات من مالكات الملايين . وفي الليل تطفي أنغام الجاز وتقضي على صوت الضمائر والتفكير ثم يرقص أناس قضي عليهم نهائياً . ان اهتزازات رقصة «الفوكس تروت» الميكانيكية تعيد الى الذاكرة حركات لعب الاطفال الميكانيكية. ان عدد النسخ التي يطبعها الادباء الحقيقيون لا تتعدى الثلاثمائة. انهم يضعون تحت متناول الرجل الوسط ، روايات بوليسية ومجلات تعنى باللذائذ الرخيصة المبتذلة كانوا يحشون دماغ الاطفال بأمثلة بسيطة كـ « الانسان ذئب لأخيه الانسان » « لا تجارة بدون غش » « الدول تخون بعضها البعض » وكيف يمكن للشباب ان يتكون عندهم خلق راسخ عندما يشاهدون « لجنة عدم التدخل » ومهزلة ميونيخ .

هكذا وصل « غربهم » الى الفاشية . والابطال الحاليون لفكرة « الثقافة الغربية » يحاولون عبثاً عزل انفسهم عن شرائع نورمبرغ ، وعن إحراق المكتب المنظم من قبل غوبلز ، وعن معسكرات الاعتقال والتعذيب في مايدانيك وأوسفيليسيم . ان الفاشية لم تهبط من السماء ، ولم تكن جرثومة معدة للدم الالماني

فقط . ان الفاشية اشتداد لوطأة مرض مرعب وشنيع سرت عدواه المميتة الى عالم المال . ان الصناعيين الالمان الذين ساندوا هتلر هم ابناء عم للصناعيين الانكليز والاميركيين والفرنسيين . ان ابطال « الثقافة الغربية » من فوش الى بوليت ومن تشمبرلن الى هوفر هم الذين دفعوا هتلر للقيام بمهمته كاملة . والشيء الخطر الان هو وجود تشابه بين وعظ الاستعماريين في سنة ١٩٤٧ وكتاب كفاحي. بين استعمار ١٩٤٧ والفاشية . ان حماة فرنكو يدافعون عن الحرية، ومعذبي اليونان يشمئزون من العنف ، وهواة القواعد الحربية في انحاء العالم الخمس يهاجمون فكرة الفتح ، وتجار الرقيق يعيبون العنصرية ! يمكنهم الاحتفال بالانتصار على المانيا ولكني اليوم لن اعيد الى الذاكرة كيف كانوا اثناء الحرب، وكيف كان انتصارهم. حقاً ، ان من غير اللائق بهم ان يحتفلوا بانتصارهم على الفاشية . ان هناك حبالا وأعواداً ... وليس من اللائق ذكرها في بيت الذين ينافسون لينش واضع شريعة قتل السود وشنقهم من قبل الجماهير .

ان محرري جريدة (الكومبا) يخدعون القراء بزعمهم اننا نحرّم ونطرد كل ما هو آت من الغرب . نحن لا نغالي إذا انحنينا وطأطأنا رؤوسنا أمام شكسبير ورانبارت . ان تحية كهذه لا تحط من قيمة فاعلها . ولكن ليست لنا اية رغبة في إحناء رؤوسنا أمام افضل طراز للمكانس الاميركية . نحن لا نحتقر هذه المكانس التي تمص الغبار ، واننا لنصنع منها حسب امكانياتنا ، ولكننا لا

نميل إلى تأييدها . اننا نعلم ان ليس في الغرب اليوم اية « ثقافة غربية » ، بل ثمة بربرية بورجوازية وثقافة لدى الشعب . ونعلم ان كل ما هو حي وعظيم في الغرب يقف إلى جانبنا . نحن فخورين بالفتوحات الثقافية والعلمية لأصدقائنا في فرنسا وانكلترا وأميركا وغيرهم من البلاد .

لقد مضى على مجتمعنا ثلاثون سنة فقط ، كانت صعبة جداً . وقد اضطررنا اكثر من مرة الدفاع بالسلاح عن استقلال جمهوريتنا. لقد أفدنا الانسانية كثيراً في هذه الفترة القصيرة بنظر التاريخ . ويعلم علماء الغرب جيداً ، اعمال علماء الاتحاد السوفياتي المرموقين.. وقراء الغرب يقرأون مؤلفات الادباء السوفيات ، وليس من بلد ينكر اعجابه للفيلم السوفياتي . ان علومنا وآدابنا وموسيقانا تؤثر بصورة حساسة على علماء وفناني الغرب . ان اعظم مساهمة في الثقافة العالمية هو وجود الدولة السوفياتية بحد ذاتها . لقد بدّلت جو العالم الفكري .

في صيف ١٩٤٥ ، وجه تيودور دريزر قبل وفاته بقليل ، كتاباً الى وليم فوستر رئيس الحزب الشيوعي الاميركي ، وقد طلب فيه هذا الأديب الذي يبلغ من العمر ٧٤ سنة ، أن يحوز عضوية الحزب . فكتب يقول : « ان طلبي هذا هو ثمرة عقائدي منذ القديم ، هذه العقائد التي نمت وقويت مع الزمن » ثم يضيف دريزر « لقد كنت سعيداً لعلمي بان علماء معروفين كالفيزيائيين الفرنسيين لانجفان وجوليو كوري ، وقبلهم العلامة الانكليزي

هالدين ، قد انضموا للحزب الشيوعي . كان ذلك ليس فقط نتيجة الاخلاص والجلد الخاص بالعلماء بل اتاً كيدهم من امكانية التوحيد بين حل كل مسألة علمية خاصة مع الحل العلمي للمشكلة الاجتماعية . لقد اخذت عندما علمت ان شعراء ورسامين مخلصين لقضية الشعب كالرسام الاسباني بابلو بيكاسو والشاعر الفرنسي لويس أراغون قد انتسبوا للحزب الشيوعي ، هذا الحزب الذي يضم في صفوفه عدداً غير قليل من المفكرين : الكاتب الدنمركي الكبير « مارتان اندرس نيكسو » والكاتب الدراماتيكي الايرلندي « اوكازه » لقد كان مبدأي الاساسي دوماً ، الايمـــان بكرامة الانسان . ان منطق حياتي وعملي قادني الى الحزب الشيوعي » .

نريد أن نعلم إذا كان هاريمان قد أطلع على هذه الوثيقة ، وإلى اية ثقافة تنتمي « المأساة الاميركية » أإلى « الشرقيـــة » أم الى « الغربية » .

نحن لا ندين ولا نطرد الثقافة الغربية الحقة الحديثة . لقد أدانها وطردها الذين يدّعون الدفاع عن « الثقافة الغربية » . ففي ولاية « تنسي » الاميركية يمنعون تدريس نظريـة التطور . وفي ولاية « المسيسبي » يحرقون مؤلفات علماء الجنس الذين يهزأون بالنظريات العنصرية . وفي كثير من جمهوريات اميركا اللاتينية يرمون خارج المكاتب مؤلفات ماركس العلمية . انهم يطاردون شارلي شابلن ويلحون بابعاده عن الولايات المتحدة .

وفي فرنسا ، يقوم اليوم اطفال الأدب الصغار المشعشون في

مكاتب جريدة « الأورور » و « الباروول فرانسيز »، بمهاجمة عنيفة للشاعر الفرنسي العظيم أراغون . ويتظاهرون في لندن ، في احد المعارض طالبين اقصاء الفنانين المعاصرين ، ومنعوا في فلسطين عرض الفيلم التاريخي (روما مدينة مفتوحة) .

ان هؤلاء الذين يدعون انهم «ابطال الثقافة الغربية» يكرهون، في الحقيقة ، كل ثقافة. إذ ان سلطتهم قائمة على جهل البعض وتراخي الآخرين وعدم اهتمامهم . انهم لا يرتكبون اخطاء نحوية . وبامكانهم ، بمناسبة او بغير مناسبة ، سرد مثال لاتيني . لديهم قلم حبر من نوع الباركر ودفتر سندات مجلد بجلد فاخر. نحن نحارب ونطرد هذا البريق الخادع . ونقول : ها هم همجيو عام ١٩٤٧ . ان تيودور اريزر لم يحص كل العلماء المرموقين والادباء والفنانين في الغرب الذين التحقوا بالشيوعيين . انهم كثر ، والاكثر منهم، الذين لم يصلوا بأعمالهم ، الى نتيجة دريزر المنطقية ، بل وقفوا باثارهم ضد العالم البورجوازي السائر الى الفناء .

نحن لا نلوم ولا نبعد هؤلاء ، ولكننا نتابع جهودهم الابداعية بشعور مليء بالثقة والعطف. منذ أمد قريب ندد مهوشو الرأسمالية في جرائدهم ، وعلى امواج الراديو ، الطويلة والقصيرة والوسطى ، بأننا كنا انعزاليين ، وبأننا أقمنا حاجزاً بيننا وبين العالم والعكس بالعكس . اما اليوم فقد غير هؤلاء المهوشون اسطواناتهم ، فهم يزعمون اننا لا نعتبر وجود مميزات قومية ، وبأننا نبعد الثقافة القومية ، وبأننا نريد ان يستوي كل شيء مع النمط الروسي . لقد

كذبوا البارحة وما يزالون اليوم يكذبون . اننـــا لم نتخل ولن نتخلى أبداً عن فكرة الاممية السامية ، وتوحيـد كلمة الشعوب ، ووحدة الثقافة الانسانية . اننا لم نبعد أبداً الشكل القومي للثقافة ، كما اننا لم ننكر حق كل شعب في تحديد مصيره وحياته . اننـا نعتبر بأن فكرة الوطنية الصحيحة وفكرة الاممية لا يمكن فصم عراهما . ولكنهما يتعارضان مع قومية الانانيين من التجار الذين يعشقون جيوب غيرهم اكثر من ازهار حدائقهم والذين يعتبرون ان بامكانهم ، باسم تفوق عنصر او امة ، اسالة انهار من الدماء . وثمة ، فوق ذلك ، ان الدم الذي يسيل ليس بدمهم ، اما الارباح فتصل اليهم .

لقد أثبتنا بأننا نحسن الدفاع عن الثقافة ، وقد أثبتنا ذلك اثناء الحرب التي فرضت علينا ولم يدافع فيهـا المواطنون السوفيات ، عن وطنهم فحسب بل زادوا عن حياض مبدأ سام . وأثبتنا ذلك ايضاً في سني السلم حيث شدنا مجتمعاً جديداً وألحقنــا بركب الحضارة – ليس الحضارة «الشرقية» او « الغربية » – بل بالحضارة الصحيحة ، ملايين وملايين من بني الانسان .

ان وجودنا وازدهارنا ، وانتصارنا ، تبعث روح الحيـاة في نفوس المدافعين الحقيقيين عن الثقافة الحقة ، والذين اوجدوها في العالم أجمع .

نحن نعلم بأنهم معنـا ، وهذه الحقيقـة ، مضافـة الى تقدمنا

الثقافي ، تمكننا من السير إلى امام بقدم راسخة . ان الشعلة التي اختطفها بروميثيوس لم تنطفيء ولن تخبو جذوتها أبـــداً . وفي الصراع الطويل المرهق بين الظلام والنور ، لن يكون النصر إلا للنور !

المنعطف[1]

•

تحدث شاعر روسي عن الشتاء الذي يتمعض لرؤية الربيع مبتسماً . ان هذا لا يتناول تعاقب الفصول وحسب ، بل تعاقب العصور ايضاً . ان شتاء الانسانية الان لمتمعض حقاً . في أبيات الشاعر القديم ، كان يحاول تدمير الربيع بأكرة من ثلج متخلف . اما في نثر الصحف المعاصرة فقد استعيض عن أكرة الثلج بالتهديد بالقنابل الذرية . ان الشتاء يحاول لف العالم بكفن متجمد . انه لا يريد تخلية المكان للربيع . ولكن مهما يكن الشتاء مذهّباً بالدولارات ، ومعطراً بالبخور البابوي ، ومهما تعلن خلوده

---

١ — كتبت لمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الاول لأنصار السلم في باريس (نيسان ١٩٤٩) .

اكثرية من الاصوات مؤلفة مـــن فطاحل الباراغواي وسحرة الفنزويلا ، ومهما يكن وجوده مضمونا بأقلام وزراء ينفـــذون أوامر غيرهم ، فان نهايته قريبة . ومن الطبيعي اني ، بعد حادث السيد فورستال الذي اعلن على العالم عشية انتقاله مـــن وزارة حرب الولايات المتحدة الى مصح للامراض العقلية ، عن اكتشاف « أقمار صناعية » ، — من الطبيعي اني ، بعد حادث السيد فورستال هـــذا ، مؤمـــن بالامكانيات غير المحدودة لدى المغفلين وراء الأطلنتيك . ولكنهم ، هم ايضـاً ، لا يستطيعون وقف سير الزمان . اعترف ان في وسع شيـخ من المسيسبي ، او نائب من آلاباما ، تقديم مشروع قانون بالغاء الربيـع . ولكن الربيـع سيكون كل جوابه أن يبتسم . في يوم اول ايار ، تكلم الناس ، في مختلف الأقطار ، عن شيء واحد : عن انتصار الحياة على الموت ، عن انتصار أبناء الشعب البسطاء على امتعاض أكلة لحوم البشر .

ان مؤتمر انصار السلم سيسجل في تاريـخ عصرنا العـاصف الصعب ، كظاهرة تحول أولى . ولا ريب ان الطبيعة شاءت ، على ما يبدو ، أن تشير الى ذلك : فما رأت باريس أبداً ربيعاً في مثل هذه الحرارة وهذا السطوع . أشجار الكستناء تشرئب الى السماء بأغصانها الزاهرة ، وأشجار الليلاس تتثنى في روعتهـا ، وشجيرات العليسين البنفسجية تزحف على طول الجدران . والصبايا يحملن في أيديهم أزهار السوسن والورد والقرنفل الاحمر . والناس يبسمون للربيع ولأملهم الكبير . ثلاث سنوات متتاليات وهم

يسمعون المذيعين يطلقون أصواتهم بالحديث عن قاذفات القنابل ، وعن المحالفات العسكرية ، والآفاق المفتوحة للطاعون وللقنابل الذرية . وها هي ذي اصوات بشرية تغطي على ذلك النباح : أن أناساً قادمين الى باريس، من بلاد مختلفة ، قد رددوا ، بلغات شتى، الكلمة التي كانت تتوجه اليها نذور الأمهات والشعراء ، والحجارة القديمة ، والبناؤون الشباب ، والبستانيون ، والمحاربون القدماء في حرب رهيبة ، كلمة كبرى بسيطة : « السلم » . ثلاث سنوات متتاليات وهم يرون وراء الأسطر اللابشرية في البرقيات الرسمية ، ووراء صور الوزراء وتجار الأسلحة ، ووراء أرقـــام الميزانيات الحربية، ووراء زمر المشعوذين الجوالين، حروباً ، وحروباً فقط، ودائماً حروباً . ولكن ها أنت في الشوارع الباريسية الصاخبة ، وفي قرى مورفان الوادعة، ووراء حدود فرنسا ايضاً ، في ايطاليا، والنروج ، وأميركا ، تلاقي نظرة حمامة حلوة ، إبداع رسام كبير، وحلم ملايين من الناس ، وبشيراً بالسلام .

ان صحفاً تصدر في بلاد مختلفة، بلغات مختلفة، وتباع بفرنكات او ليرات او بنسات او بفينكسات ، ولكنها تنشر أبداً بمساعدة الدولارات ، ـ ان هذه الصحف قـــد حاولت ، اول الأمر ، السكوت عن مؤتمر السلم المنعقد في باريس . ولكن تبين ان ليس في الامكان إخفاء وثبة الشعوب التي تضع حداً للكذب، والتحريض، والخوف ، كما ليس في الامكان وقف سير الربيع. ان صحف العالم بأسره مضطرة الآن للاعتراف بان ثمة شيئاً قد تغير فوق الارض .

وجريدة الحكومة الفرنسية شبه الرسمية ، « لوموند » ، تعلن بلهجة حزينة ، ان الشيوعيين قد وجدوا فكرة كانت لهـــا اصداؤها ، ويمكن ان يكون لها زيادة من الاصداء . ان «لوموند» ، كعهدها أبداً ، تحرف الحقيقة : فهذه الجريدة تعلم جيداً انه كان ، الى جانب الشيوعيين ، في مؤتمر باريس ، اشتراكيون وعماليون وأنصـــار للرأسمالية متحمسون ، كالاميركي روغ ، مثلاً ، وممثلون للكنيسة الكاثوليكية كالكاهن بوليبه . وما يحزن « لوموند » انما هو هذا الترابط بين عناصر مختلفة ، مصممة على الدفاع عن السلم . انهـــا تتكلم عن « الفائدة » التي سيجنيها الشيوعيون من المؤتمر . والحق انها تفكر في الخسائر التي ستنزل بـ « رجال الاعمال » الذين كانوا يحلمون بزيادة أرباحهم بما يحيكون من مكائد جديـــدة . ويتجلى اضطراب الدعيين المحرضين في مطالعات « الأورور » ، الجريـدة فوق الاميركية التي تعلل انتصـــار الشيوعيين في انتخابات تول ودوارنينيز بانعكاسات مؤتمر باريس .

لقد ظهر ان في الامكان فرض الصمت على رجل بحرمانه مـن تأشيرة الدخول ، ولكن من المستحيل كم افواه ٧٠ شعباً . فليس الذين تكلموا في مؤتمر باريس ببضعة منفردين ، بل هم ملايين مـن الناس . لقد تكلموا عن شيء واحد : عن إرادة الشعوب للسلم . عن السلم تكلم العالم الفرنسي جوليو - كوري ، وام زويا كوسمو ديميانسكايا ، والمزارع الجزائري ، والمهندس الاميركي . وعن السلم تكلم البيض والسود والصفر . ومـا كان كلام هؤلاء كلام نساك

النزعة السلمية في الامس الغابر ، بل إنذاراً رهيبـــاً لهواة اللحم البشري: لا تبذلوا جهودكم ، لا تُعدوا مخزونات من القنابل الذرية، لا تحسبوا أرباحكم المقبلة، لا تخترعوا تكتلات، لا تخدعوا الانسانية، فلسوف يعـاد الدعيّون الى الصواب . وإذا خطر لكم ، يا هواة اللحم البشري ، ان تشنوا الحرب ، فان هذه الحرب يمكن ان تنتهي بصورة تختلف قليلاً عما تأملون : لا بزيادة حصص الأرباح، بل بالقضاء على المساهمين .

في ذلك الاحد ، كان مئات الالوف مـن الاشخاص يحيطون بملعب بوفالو . ومن مختلف مدن فرنسا ، كانت تصـل « قوافل السلم » . كان ثمة كثير من الشمس ، ومن الازهار ، ومن الخطب الزاخرة بالعاطفة ، ومن الايمان التي لا تنسى . السيول البشريـــة تتدفق أبـــداً ، والشوارع غاصـــة بالسيارات والاوتوبوسات والموتوسيكلات والدراجات . ولقد تذكرت مشهد هذا الشارع نفسه في ذلك الصيف الرهيب من عام ١٩٤٠ ، حـين كان الشعب الفرنسي المخدوع ، المشتت ، المحوّل الى حالة العجز ، يهرب مـن الحرب ، وقد غـدا فريسة للهلع ، والحرب تطارده عـلى طريق اورليان الواسعة . والان يسير الشعب على هـذه الطريق ذاتها ، أبياً ، واثقاً من نفسه ، في سبيل طرد الحرب ، في سبيل المحافظة على السلم .

ان هواة اللحم البشري لا يدركون ان الزمان قد تبدل . فلسنا الان في عام ١٩٣٩ . ان السنوات العشر قد جعلت الانسانية

أنسانية أخرى . وبين مونيخ وميثاق الاطلنتيك اوقيانوس من الدماء ، وسنو أهانة وأنفة ، وسجون فاشستية ، وبسالة انصار . ان بين مونيخ وميثاق الاطلنتيك كومبيني وستالينغراد ، ولادة الديموقراطية الشعبية ويقظة آسيا ، انتصار الصين التي تتحرر ، والشراهة المفضوحة لدى تجار الكونسروة ، وتجار الارواح . ان التشيكيين لم يعودوا كعهدهم بالامس . ولقد تبدل الفرنسيون . وتنحّي بلوم . والزنوج ايضاً لم يعودوا كما كانوا . ان زنوج اليوم لن يركنوا لرواية لبيشر — ستاو ، ولمئة عملية من عمليات شنقهم على طريقة اللنش . والاميركيون انفسهم قد تطوروا . ان شيئاً ما قد انتشر حتى العالم الجديد الذي يحاول عبثاً ان يبقى الملجأ الاخير للشتاء العتيق .

لقد رنت كلمة « ستالينغراد » في مؤتمر السلم، اكثر من مرة. وكانت تتلألأ ايضاً فوق اعلام ملعب بوفالو . انها ليست تذكرة وحسب، بل هي أمل ايضاً . ان العمل السلمي، عمل الشعب الذي تمكن ، فوق ضفاف الفولغا ، من إنقاذ المدنية المهددة من قبل البرابرة ، — ان المصانع ، والغلال ، والعلماء ، وأطفال ارض السوفيات: تلكم هي الضمانة على ان الحرب لن تقع. فإلى المواطنين السوفياتيين يتطلع، بأمل، طلاب انكلترا، والمعدنون الباريسيون، ونساء الهند ، وشعراء الارجنتين ، الناس ، والشعوب ، والعالم. وهل في وسع المرء ان يرى، دون تأثر، العمال الفرنسيون يعانقون ماريسييف ، والشبان والشيوخ يبكون لقصة تعذيب زويا ،

والناس يجرعون ، بنهم ، الحقيقة الانسانية البسيطة ، حقيقة شعبنا الطيب .

عند اختتام المؤتمر اقترحت لجنته على المندوبين ان يتكلموا في جميع مدن فرنسا ، لتبيان اعمال المجلس. وقد دعيت الى ديجون ، فذهبت اليها بالسيارة . وفي الطريق شهـــدت حواضر ودساكر فرنسا الربيعية المزدهرة . ورأيت شوارع باسم ستالينغراد وجادات باسم مكسيم غوركي . اما مجلس ديجون البلدي فقد قرر ان يلقي في هذا كله نغمة ناشزة . لقد تناقش « آباء البلد » حول مسألة مـا اذا كان ينبغي السماح لكاتب سوفياتي بالمجيء الى ديجون . وقد صوت الديغوليون معارضين، وامتنع الاشتراكيون عن التصويت ، بمهابة وجلال . لكن سكان المدينـــة لم يقصروا قط في استقبال الضيف السوفياتي اطيب استقبال وأشده تأثيراً ، استقبالا يحاط به الاصدقاء القدماء وحسب . حدثتني امرأة في قرية مـــن قرى بورغونيا ، فقالت : « كان لي ولدان ، فقتلهما الفاشست . زوجي مات في معسكر اعتقال . وأنا الان أشتغل وحيـدة في المزرعة . اني اتذكر كل شيء ، فارجو ان تقول للروس باننا لم ننس شيئاً ، وانا لن نسمح أبداً بان يكون الشر رداً على الخير ... » . كانت تضحك والدموع ملء عينيها ، كذلك اليوم من الربيـع ، بوابل مطره المشرق وشمسه الساطعة .

في يوم اول ايار نتذكر نحن المواطنـين السوفياتيين ، هـذه الفلاحة البورغينيونية . والزنجي في مزارع القطن في الميسيسيبي ،

يتذكرنا . ويحمل الباريسيون صور رجال كبار طيبين ، في الشوارع التي شهدت المعارك ، من ساحة الباستيل الى ساحة « الناسيون » . ولسوف يكون الربيع في كل مكان . انه لن يكون في الخضرة الفتية وحسب ، بل في القلوب ايضاً . ان اتحاد الشعوب اقوى من مناورات العاملين على إثارة الحرب . لقد اجتيز المنعطف .

روائدو الثقافة[1]

•

لم يشبع السلك العسكري جميع مطامح الجنرال بيديل سميث، فانخرط في السلك الديبلوماسي . بيد ان الدبلوماسية لم تحقق ، هي الأخرى ، كل رغباته ، فعزم على ان ينذر نفسه للأدب . فكتب عن الاتحاد السوفياتي كتاباً طافحاً بذلك الهذر المدهش الذي يدر على المخبر الاميركي الوسط ما يشتري به الحليب لأطفاله الصغار الأعزاء .

ان الجنرال بيدل سميث لا يخشى مجابهة قضايا الثقافة . فهو ينسب لي هذه الكلمات التي يدعي اني قلتها في مؤتمر فروكلاو : « ان الثقافة الروسية تعلو عن فهم اوروبا الغربية » . وغني عن

---

١ – نشرت في حزيران ١٩٥٠

البيان اني لم اقل مثل هذا ولا يمكن ان اقوله. ان الجنرال بيدل سميث اميركي من النوع المتعجرف. ولكن هـذا لا يمنع من ان يكون، ايضاً، رجلاً ناضب الفكر، كما تشهد علـى ذلك انتاجاته الادبية: فهو مقتنع ان اوروبا الشرقية ادنى من ان تفهم الثقافة الاميركية، سواء تمثلت هذه الثقافة بالمكانس الكهربائية المتناهية الجودة، أم بجوامع كلم المستر ترومان، ام بعقيدة عصمة الدولار عن الخطأ والاخفاق ان خيـال الجنرال محدود بامكانياته الخاصة، فهو يعزو، الى كاتب سوفياتي، تعجرفه الخاص به.

الحقيقية اني القيت في مؤتمر فروكلاو، الكلمات التاليـــة: « ليس إلا الجهلاء وحدهم او المراؤون، من يستطيع ان يتمثل الثقافة الروسية على انها غريبة او معادية لثقافة الشعوب الغربية». وبعد ان نسب الجنرال بيدل سميث افكاره الخاصة به، إلي، راح يسألني بلهجة مؤثرة: « اذا كان الغرب لا يستطيع ان يفهم الثقافة السوفياتية، في حين انه يفهم جيداً ويقدر عمالقة روسيا القديمـة: تولستوي، ودوستويفسكي، وتشيخوف، وغوركي، وتورغنييف، وتشايكوفسكي، وريمسكي – كورساكوف؟».

نحمد للجنرال، طبعاً، ذكره لغوركي بين عمالقة الأدب. ذلك لأن هذا الكاتب العظيم، عندما قدم الى الولايات المتحدة، لم يلحظ، عظمته، دبلوماسيو ذلك البلد وعسكريوه الأقزام. ولكن ما يهمنا هنا، ليست هي الاحكام التي يوزعها الجنرال بوقاحة. انه، اذ يمجد غوركي، يحاول بسذاجة ان يقتطعه من الثقافة السوفياتية.

انه يجهد في معارضة الادب السوفياتي بالادب الكلاسيكي الروسي. انه يبغي اقناع قرائه بأن الغرب لا يعترف ولا يمكن ان يعترف بثقافة المجتمع السوفياتي .

عن اي غرب يتكلم الجنرال بيدل سميث ؟ اذا كان يتكلم عن غرب المستر بابيت ورجال الاعمال وتجار المواشي والغانغستر والنخاسين والشيوخ الذين على شاكلة توماس ، فان هؤلاء الأسياد لا يعترفون باية ثقافة ، لا الثقافة السوفياتية ولا الثقافة الروسيه القديمة أو الثقافة الاوروبية الغربية او الثقافة الاميركية . فهم عندما يسمعون ، صدفة ، باسم تشيخوف ، يتساءلون : من يكون هذا ؟ أراقص في ملهى « اولمبيا » أم « احمر » تحسن الوشاية به ، فوراً ، الى أقرب مخفر ؟ بل ربما كان الجنرال بيدل سميث يفهم من « الغرب » ، جنتلمانات نوادي لندن الليلية ، الذين لا يعرفون إلا الدربي والغولف والأقاصيص السكوتلندية ، او انه يفهم من « الغرب » ، موظفي البورصة الذين يقرأون ، في الاسبوع ، جرائد الشانتاج ، وفي الاحد ، مجلة « الدايجست الجنسية » المزينة بالرسوم المنافية للآداب ؟ طبعاً ، لو سمع « المثقفون» المذكورون اعلاه ، شخصاً يفوه باسم ريمسكي — كورساكوف ، لاعتقدوا انه انما يوصيهم باحد اصحاب اسطبلات السباق ، او باحد ملاكي الأسهم في شركات البترول .

بيد ان هناك غرباً يجهله السيد بيدل سميث : هو غرب أناس يفكرون ويشعرون ، غرب المثقفين الحقيقيين ، الذين لا يملك احد

الجرأة على ان يضع بينهم الجنرال قبـــل البارحة ، والدبلوماسي البارحة ، والكاتب اليوم . هذا الغرب الذي يفكر ويشعر ، ليهتم اهتماماً كبيراً بجميع منجزات الثقافة السوفياتية .

من يجرؤ على انكار دور مايا كوفسكي في تطور الشعر العالمي؟ لقد أشاد بهذا الدور شعراء مختلفون ، مختلفون باللغة ومختلفون بالذوق والفكر : بابلونيرودا وآراغون ، الوار وتوفيم ، غيلين ونيزفال ، آلبيرتي وناظم حكمت .

لست ادري اذا كان الجنرال بيدل سميث خبيراً بالموسيقى ، ويعرف مؤلفات تشايكوفسكي وريمسكي – كورساكوف ، أم انه طلب – وحسب – من سكرتيره ان يقدم له لائحة بالأسماء اللازمة . مهما يكن الامر ، لقد كان بامكانه ان يستعلم من نقاد نيويورك الموسيقيين عن الشعبية العظيمة التي تتمتع بهـــا ، لدى الاميركيين ذوي الآذان الطبيعية « السنفونية السابعة » لتشايكوفسكي ، و « روميو وجولييت » لبروكوفييف ، وغيرهما من مؤلفات الملحنين السوفياتيين .

ان بعض الافلام الايطالية ، كـ « سارق الدراجات » و « باسم القانون » مثلاً ، تتمتع اليوم بنجاح ، هي جديرة به ، في بلاد الغرب . والذين لم ينسوا التفكير بعد ، يستريحون ، عندما يشاهدون هذه الأفلام ، من « حرتات » هوليوود المثلى . والسينمائيون الايطاليون يعترفون بأنهم تعلموا كثيراً من السينمائيين السوفياتيين . وما من قصة سينمائية واحدة ، في العالم ، لا تتكلم عـــن الانعطاف الذي

تسجله، في هذا الفن، افلام « المدرعة بوتيمكين »، «والمسلحة»، و « الأم »، و « طفولة ماكسيم » و « تشاباييف » .

ان الوقت الذي يفصلنا عن الحرب العالمية الثانية هو اقصر من ان يسمح بظهور رواية لها قوة رواية « الحرب والسلام». ولكن في وسعنا ان نقول اجمالا ، ان الروايات الوحيدة ، عن الحرب العالمية الثانية ، التي تحوز اعجاب قراء اوروبا الغربية ، هي بقلم مؤلفين سوفياتيين .

ولن اذكر امثلة اخرى ، فهي عديدة . بل سأقول فقط انه ، في مختلف الميادين ، سواء في ميدان الزراعة او تنظيم المكاتب ، وسواء في ميدان الصحة العامة او ادب الاطفال ، نرى مساهمة المجتمع السوفياتي عظيمة ، سواء بعمقها او باتساعها .

الدولة السوفياتية اثنتان وثلاثون سنة . وهذه المدة ، بالنسبة للتاريخ ، قصيرة جداً . وكلنا يعلم ان المرء يبدأ ، عند بناء بيت ، بالأسس لا بالسقف . ومع هذا ، فالقيم الروحية التي خلقها المجتمع السوفياتي ، على قصر هذه المدة ، ليست بالشيء اليسير . وكما قلت من قبل ، ان صلات الجنرال بيدل سميث ، بالثقافة ، ضئيلة جداً . بيد انه كان في استطاعته ان يتسائل لماذا ابدى معظم مثقفي الغرب ، في غضون هذه السنوات الاثنتين والثلاثين ، اهتماماً كبيراً بالثقافة السوفياتية ، وعطفاً حاراً عليها . لن اعدد هنا اسماءهم كلها ، بل سأقتصر على بعضها : آناتول فرانس ، برنارد شو ، درايزر ، لانجفان ، جوليو كوري ، بيرنال ، هالدين ، آراغون ، نيرودا ،

ماشادو ، الوار ، غارسيـا لوركا ، بيكاسو ، ماركيـه ، شابلن . ومن ينكر ان هؤلاء اكثر اختصاصاً بمادة الثقافة من دبلوماسي مستأدب .

لقد آن لنا ان نقول ان هذه اللعبة الصغيرة ، لعبة « الشرق » و « الغرب » ، ليست شيئاً آخر غير الجهالة، وعبادة الجهل، وتبعية الفكر الانساني لحرس الحدود وموظفي الجمارك السياسيين . انهم يسعون الى ايهام الحمقى ان هوارد فاست يمثل لـ « العالم الشرقي » وان الفراري الحقير ، المساعد الصغير الأمي للمستر بيدل سميث ، كرافشنكو ، هو استاذ « الفكر الغربي » . ان هذه السفسطة عن الثقافة « الشرقية » و « الغربية » ، تنقصها مبادىء التاريخ الأولية والمنطق البسيط . فلما كان الشاعر الفرنسي الشاب لويس آراغون، يدين بمذهب « ما فوق الواقعية » ، لم يكن احد يشك بوحيـــه الفرنسي الصرف . ولكنه ، لما كبر ونضج، وأصبح شاعر الشعب الفرنسي المناضل في سبيل تحرره ، حُرم حقوقـه المدنية ، بـــل وأُنكرت عليه كل صلة روحية بالأمة الفرنسية . ان الباش بوزق الأتراك الجهلة ، المنبثقين ، هم ايضاً ، من اوروبا الغربية ، قـــد دُعوا الى اجتماع ستراسبورغ ، حيث يسمعون هناك احاديث عن صلاتهم القديمة ببورغونيا ، وباسرة البرابان . ولكن احـد اعاظم الشعراء الاوروبيين ، ناظم حكمت ، الذي يرتبط شعره — مع كونه قومياً عميقاً في قوميته — بالشعر الاوروبي ، بشياطـــين بوشكين ومايا كوفسكي وهوغو ورامبو ، هو حبيس منذ اثني

عشر عاماً في سجن تركي . فهذا الشاعر ، عند جندرمة الفكر ، لا يمكن ان يكون في صف ممثلي « الثقافة الغربية » .

ان الظلاميين العصريين يريدون ان يستبدلوا بمراحل التاريخ ، مناطق جغرافية . انهم يريدون ان يجعلوا من المرحلة العظيمة التي قطعها تطور المجتمع ، والتي رسم كارل ماركس خطوطها لأول مرة ، وبذل رجال الكومونة دمهم ثمناً للبدء بها ، حادثة محدودة بجزء من العالم . وهم بذلك ينذرون للموت ، الثقافة القومية للشعوب التي لم تتحرر بعد من نير الرأسمالية : يريدون ان يموت علم انكلترا ، وأدب اميركا ، وفن فرنسا ، مـــع موت الاستعمار البريطاني ، وعرقية الولايات المتحدة ، والبورجوازية الفرنسية المتداعية . انهم لا يشنون الحرب على الثقافة السوفياتية ، بل على كل الثقافة ، لأن وقوف دوران الدم يؤدي ، بالضرورة الى الموت .

انا أفهم ان يحاول جنرال اميركي جاهل ، خنق النـفـس الذي يبدل شكل العالم . فأية اهمية لديه للثقافـــة ولمصائرها ؟ ولكن المؤسف ان نرى جورج دوهاميل يشترك في تقطيـــع الثقافة ، وبالنتيجة في اعدامها . اني لست من المعجبين بمواهبه . ومع هذا ، فالمسألة تتعلق بكاتب ابدع ، في زمنه ، بعض كتب جديرة بـهـذا الاسم ، لا باسم مستأدب من مكتب الدولة . فدوهاميل مغرم اليوم بتنظيم « اوروبا استراسبورغ » التي يترتب عليها ان تقدم لحماً للمدافع ، الى اميركا . من المؤكد ان جورج دوهاميل لا يقرع الطبل ولا يحمل القنبلة ، وانمـــا يكتفي بذرف الدمع والتنحنح

أسفاً . ويحمل طبق الطعام الذي يقوم زملاء الجنرال بيدل سميث بجعله ملائماً لدم اوروبا .

عقد ، مؤخراً ، في لوزان ، اجتماع للقسم الثقافي في « اوروبا استراسبورغ » . فاذا كان الجنرال بيدل سميث يهتم بالثقافة ، فلم لا يحق الماشية الاوروبية التي تحرسها رعاة واشنطن ، ان تجاربه في هذا المضمار ؟ وثمة « مثقفون » شهيرون ، شهرة المستر تشرشل والمسيو سباك ، وشهرة كارل شميدت ، رجل « بون » الفذ ، قد ابدوا اهتماماً كبيراً جداً باجتماع لوزان . اما جورج دوهاميل فقد اوصل رسالة يستطيع الجنرال بيدل سميث ان يزهو بها .

عندما نظر دوهاميل الى الرزنامة ، وتبين له ان القرن العشرين قد عاش نصف عمره ، تملكه الأسف : لقد اظلم نصف القرن بحربين استنفدتا قوى اوروبا . ولكن دوهاميل لم ينبث ببنت شفة عن اسباب هاتين الحربين ، ولم ير إلا « الخطر الاصفر » .

قبل يومنا هذا بنصف قرن ، كانت الدول الاوروبية الكبرى تقمع ثورة الشعب الصيني ، تساعدها في ذلك اليابان والولايات المتحدة . ومن اجل تبرير موقفها ، كانت تتشدق ، هي ايضاً ، بـ « الخطر الاصفر » . هذا ما كان يجري عام ١٨٩٩ . اما اليوم ، بعد خمسين سنة ، فيبدي دوهاميل اسفه على ان تكون آسيا كلها ، من الآن فصاعداً ، قد خسرها النفوذ الاوروبي والثقافة الاوروبية . هو يقول ان افريقيا ، التي يعتبرها كثيرون حقلا من أحسن حقول التجارب للعقل الاوروبي ، ستستولي عليها آسيا ، اذا ما استمرت

الحوادث على مجراها الحالي . قد يتساءل القارىء دهشاً : من يقول هذا القول : أكاتب أم نخاس ، أمؤلف كتاب « حياة الشهداء » أم محتكر مطرود من شنغهاي ، أعضو أكاديمي ام مزارع مسلح بالسوط؟

ان استيقاظ شعوب آسيا لهو نصر كبير للثقافة الانسانية . فهذه الشعوب التي كانت ، في بحر قرون عديدة ، موضع سلب واضطهاد من قبل رعاع اوروبا ، لم تكن تستطيع تطوير ثقافتها التقليدية ولا التقرب من ثقافة الشعوب الاوروبية . اما اليوم فالصين المحررة ، والهند المناضلة في سبيل حريتها ، وأندونيسيا وماليزيا الداميتان غير المغلوبتين ، قد استيقظت . وفي هذه البلاد، يدرس القوم ويقرأون ويكتبون بحماسة . ولكن دوهاميل لا يرى الى ابعد من قريته « بيكون ليبروير » . انه لا يرى ان الصين قد تفتحت ، لاول مرة ، للثقافة العالمية ، وانها مستعدة لان تستعير منها كلما لديها من ثمين ولأن تدفع لها غالياً ثمن ما تستعير . ان دوهاميل لا يدرك ان الاوروبيين، بعد عشرين سنة، سيغرمون بالكتب الصينية والهندية . انه لا يدرك ، الى ذلك ، ان ملايين من البشر تتعلم ، لأول مرة ، في تاريخ آسيا ، معرفة الأدب العالمي ولا سيما الأدب الفرنسي . لو ان دوهاميل يفكر ككاتب فرنسي لأعلن فرحه . ولكنه يفكر كمستعمر ، كمنبثق من « اوروبا ستراسبورغ » .

انه يكتب ان افريقيا يعتبرها الكثيرون حقلاً من احسن

حقول التجارب للعقل الاوروبي . ولم هـذا الاكثار من الكلام الجميل ؟ اننا نعرف مظاهر هــــذا « العقل الاوروبي » ، العمل الاجباري والاضطهاد .

وبعد ان ينعى دوهاميل آسيا وأفريقيا، ينعى اوروبا وثقافتها. فرجـــال « اوروبا ستراسبورغ » لا يدركون ، في رأيه ، الخطر الذي يهددهم . ولكنه لا يحدد ، اكثر من ذلك ، طبيعة الخطر . فليس هذا دوره . ان تشرشل يقرع الطبل ، ودوهاميل يمسح عينيه المبللتين بالدموع . على انه يدرك جيداً ان الحرب التي يبشر بها تشرشل وأسياده فيما وراء الاطلنتيك ستكون ضربة قاضية على اوروبا . فهو يقول في ذلك : اذا ما أصابتنا المصيبة ، فسيكون علينا ان نتوجه بأنظارنا الى الفروع الكبرى للثقافة الاوروبية . لقد كنت اقول ، منذ خمسة عشر عاماً ، ان جورج دوهاميل كان مخطئاً في تحقيره ، بالجملة ، لأميركا وشعبها . وها قد جرت مياه كثيرة ، منذ ذلك الحين ، تحت جسور السين ، وفي هـذه الميـاه « تمرّى » المسالمون المونيخيون ، ورجال فرق الهجوم النـــازية الوقحون ، والمتربصون الافرنسيون ، وجنود ايزنهاور. فأميركا، منذ خمسة عشر عاماً ، كانت ، عند دوهاميل ، « عديمة الثقافة » . اما اليوم فقد اصبحت ، عنده ، منقذه الثقافة . انه ، بحـكم عادة جرى عليها ، يدعو العالم الجديد بـ « فرع الثقافة الاوروبية » ، دون ان يدرك ، بل حتى دون ان يستطيـــع ادراك ان « اوروبا ستراسبورغ » ليست إلا فرعاً للوحشية الاميركية .

انه لمشهد كئيب ، ومن الصعب التحدث عنه الى اولئك الذين يحبون ويقدرون الشعوب الاوروبية القديمة والجديدة . فليس هناك اليوم إلا خطر واحد على الثقافة « الشرقية » و « الغربية » ، على ثقافة اوروبا وآسيا وأميركا وأفريقيا . وليس يتحدد هذا بلون جلد البشر ، فهو ليس بأصفر ولا بأبيض ولا بأسود . كما انــه لا يتحدد بالمفاهيم الجغرافية . ولن انعت هذا الخطر بـ « الاميركي » ، حتى لا اهين العلماء والكتاب والاطباء والمربين والمهندسين الشرفاء الذين يعيشون في اميركا ويناضلون في نطـاق قواهم ضد الوحشية التي تنشرها الطبقة الحاكمة . ان هذا الخطر ذو صفـــة اجتماعية : فهناك طبقة لم تعد قادرة عـلى خلق القيم الروحية ، طبقـة متفسخة منحلة ، يثير فيها الجنون شعورها بنهايتها المنـــذرة بالاقتراب ، تحاول تبليد الانسانية وانامتها وتحقيرها ، وهي تهيء نفسها لحرب مجرمة ، وهدفها الوحيد ان تؤخر الانحلال ، بـدون ان تكترث للمصير الحتمي الذي تخبئه الحرب ، سواء لمنشآت الماضي او لتطور الثقافة الانسانية المقبل .

اني اعلم ان في الولايات المتحدة بعض الكتاب الموهوبين جداً ، الذين قدموا للعالم ، بين الحربين ، مجموعة مـــن الكتب القيمة ، ولكن بعضهم يسكت ، اليوم ، وبعضهم الآخر يكتب اشيـــاء تافهة ، وغيرهم يكرس بأفكار ربما كانت جديرة باللصوص من امثال توماس وبيلبو ، ولكنهم ، على كل حال ، كتاب كبار . وهكذا ، مثلاً ، كتب الكاتب الموهوب فولكنر ، رواية تبرر ، في الواقع ،

اعمال نخاسي الولايات الجنوبية .

والى جانب بعض الكتاب الموهوبين ، هنـــاك في اميركا عشرات الألوف من المتأدبين الذين يسممون نفوس الاميركيين ونفوس رجال « اوروبا ستراسبورغ » . وقـد كثر الحديث عن انتاجهم الذي يصعب نعته بالادبي .

حسبنا ان نذكر ان اثنتين وسبعين رواية مـن مائة ، تصف الاغتصاب ، وأربعة وخمسين فلماً من مائة يدور حول القتل .

ان الظلاميين العصريين يقترحون عـلى الاوروبيين ان يقتدوا بـ « نمط الحياة الاميركي » ، الذي يوحي بالجميل مـــن الكلام الى الكتاب والتجار الاميركيين . ان جوامع كلم هؤلاء الاخـيرين تملأ طرق الولايات الثماني والاربعـــين . « اذا سال عرقك وانت ترقصين ، هجرك خطيبك . جربي منتوجاتنا المثلى ضد العرق ! » ، « من يكثر من اكل السبانخ يجعل اشد النساء برودة تجن غرامـاً به ! » « لو قُدّم للمسيح ، عوضاً عن اسفنجة مشربة بالخل ، كأس من الكوكاكولا ، لمات راضياً . » ولنذكر اخيراً هـذا الاعلان الشهير : « مزارع في السابعة والثلاثين من عمره يرغب في التعرف الى فتاة ثلاثينية تملك تراكتوراً ، برسم الزواج . الرجاء ارفاق الرسائل بصورة التراكتور » . أفلهـــذا كتب بيترارك وشيلي وليرمونتوف وهايني قصائدهم الغرامية، للوصول الى « نمط حياة » كهذا ؟

انهم يعظون اوروبا قائلين: لا تعرقوا ، اشربوا الكوكاكولا ،

تزوجوا التراكتورات ، اقرأوا قصص الاغتصاب ، وبصورة خاصة تهيأوا للموت في سبيل اميركا المعصومة عن الخطأ ، العديمة النظير (وأضيف ، انا ، المستعصية على الاصلاح) .

تكلمت جريدة « لوموند » عن الزيارة التي قام بها ، في بلدان اوروبا الغربية ، شخص يدعى مستر فارمر ، وهو احد انصار « الحكومة العالمية » . وقد صرح هذا بان حكومة ولاية تينسي تبنت قراراً يتعلق بانضمامها الى « الحكومة العالمية » . وتساءلت الجريدة الفرنسية لماذا لا تحذو حذو تينسي ، بقاع اخرى . وقد قابلت مع هذا المستر فارمر في تينسي. فأراني، بتواضع وخجل، بيوت الفلاحين المهدمة البائسة . وقال لي ، وقد صبغ التأثر وجهه بالحمرة ، انه كان في تينسي كثير من التوحش والجهل . وفعلاً ، رأيت في هذه الولايات حدائق وساحات ، دخولها محظور على « الملونين » . وقد تعرفت بعالم كبير اسود اللون ، اسمه برادي ، محظور عليه دخول مختبرات الجامعة ومكاتبها. كما علمت ان قوانين ولاية تينسي تحظر على المدرسين والاساتذة عرض نظرية التطور ، وتوجب تفسير خلق العالم حسبما جاء في التوراة . ان الزنوج ، في تينسي ، يعيشون كالعبيد ، والفلاحين كالمتسولين . ووضع العلم ، فيها ، كوضعه في اوروبا ايام محاكم التفتيش . وفوق كل هذا ، نجد ، في ولاية تينسي ، احدى المؤسسات الاميركية الاكثر « انسانية » ، اعني مصنع القنابل الذرية .

قد يقدّر احدنا ان المستر فارمر ، الذي جعلني أراه رجلاً

متواضعاً وشريفاً ، سيكرس حياته للنضال ضد وحشية موطنه الأصلي ، وقد يقدر احدنا ايضاً ان حكومة تينسي ، بعد ان تشعر باخطائها امام مواطنيها وأمام العالم اجمع ، ستشرع – قبل التغني بخلق « دولة عالمية » – في الاهتمام بقضايا اكثر جدية ، ولا سيما برفع دولتها ولو الى مستوى القرن التاسع عشر . بيد اننا نرى شيئاً آخر : نرى المستر فارمر يقترح على فرنسا وايطاليا وانكلترا وعلى الشعوب التي لها تاريخ عظيم ومصير عظيم ، ان تقتدي بدولة تينسي المتوحشة .

ان عالمهم غارق في جو ثقيل من اجواء المقابر . فقد توجوا باحدى الجوائز ، منذ مدة قريبة ، الخائن ازرا باوند الذي مجد ، في اشعاره ، السادية الفاشستية ، ابان الحرب . وكان في فرنسا كاتب يدعى سيلين ، وصف التفسخ والانحطاط والدناءة البشرية. وقد اصبح ، ابان الاحتلال ، احد المعجبين المهووسين بالهتلريين ، فكان يتغنى بغرف الغاز، وباستئصال اليهود. وقد انقذه الهتلريون من غضب الشعب الافرنسي ، وهو الآن يقيم في الدانيمرك . واليكم ما كتب عنه المتأدب رامون ساندر في مجلة « نيو ريدر »: « ان سيلين يجب ان يُقارن بشهداء العصور الاولى للمسيحية ، فهو قديس ، نموذج للانسانية وللكرامة الاخلاقية » . حقاً ، اذا كانت الانسانية هي الغستابو والعرقية ومعسكرات آوشفيتس ، فسيلين انساني عميق في انسانيته. واذا كانت الكرامة الاخلاقية هي الخيانة، فمن الواجب اقامة نصب لسيلين .

لقد أتى على ما وراء الاطلنطي دهر ، كان فيه « سارتر » على الموضة . اما اليوم فقد انقضى عصره : اذ ولد نجم جديد ، يدعى اميل سيوران . نشر هذا المؤلف كتاباً عنوانه « نظرة خاطفة على التفسخ » ، يقول فيه ان من الواجب القضاء على نزعة الانسان الى الايمان وعلى ملكته الخيفة في الأمل . وفي رأيه ان من الضروري اعادة حق الانسان في الانتحار بسبب عدم الاكتراث بالحياة . فالانسان الذي لا يعي عدميته ، مختل العقل . ويجب الصاق صفة مختل العقل بكل من يؤمن ، ايماناً صادقاً ، بالمثل العليا ، وبالمستقبل ، وبالضمير .

من جهتي ، أنا ، لا اعترض على ان يمنح هؤلاء القوم حق الانتحار . ولكن على ان ينتحروا بسرعة . إذ يجب ان لا نسمم الاحياء بالرائحة الطاعونية المنتشرة من بعض الجثث .

من حسن الحظ ان الاحياء هم جد أحياء : يسندهم الايمان بالمثل العليا وبالمستقبل والضمير . ان الممثلين الحقيقيين للثقافة الانسانية ، حيثما كانوا ، ادركوا معنى الاحداث الجارية . لقد اختاروا مكانهم . انهم لا ينتظرون ولا يتذمرون، وانما يناضلون. ان النصف الثاني لهذا القرن لن يكون هادئاً : فالموت سيحاول خنق الحياة . بيد اننا نعرف ان هذا لم ينجح في يوم من الايام . ففي الربيع ، تعود الارض الى اخضرارها ، ويحتل الفتيان مكان الذاهبين . والمعركة الكبرى في سبيل الحضارة الانسانية، مصيرها الانتصار .

عندما افكر بمصير القرن الذي نعيش فيه ، تتمثل لي ابيات الشاعر التركي ناظم حكمت ، التي عنوانها « القرن العشرون » :

هل تريد ، يا عزيزي ، ان ننام اليوم لنستيقظ بعد مئة عام؟
كلا . فما انا بهارب .
ثم اني لا اشعر بأدنى خوف من عصري ،
عصري المسكين الذي يحمر من الخجل ،
عصري الجريء ، عصر الابطال .
انا لم آسف قط على اني ولدت باكراً .
واني لفخور بأن اعيش اليوم ،
في القرن العشرين ...

هذه كلمات قالها شيوعي بعد اثني عشر عاماً فظيعاً قضاها في السجن ، شيوعي محكوم بالسجن المفرد ستة وثلاثين عاماً ، ومصاب بالالتهاب الصدري. ان المرء ، عندما يقرأ هذه الاشعار، يشعر بالغصة في حلقه ، وتتملكه الرغبة في ان يصافح يد الشاعر البعيدة ويصيح : « أبداً . أبداً لن يقهروا الحياة ، ما دام لنا كثير من الاصدقاء ، كثير من الشعراء العظام ، والعمال المجهولين ، كثير من الاصدقاء في روما وفي ولاية تينسي ، في تركيا وباريس ، في الصين والهند ، كثير من الرجال الشرفاء والأطهار الذين يعرفون ان للحياة معنى وهدفاً ، وان الثقافة ليست مجموعة

من اللعب التزيينية ، ولا تنظيماً للرفاه ، ولا تذكراً للماضي ، وانما هي ابداع مستمر ، يومي ، انما هي حركة الى امام ، ونهوض للانسان وضميره وعواطفه ، انما هي تبرير لوجودنا على هذه الأرض المحبوبة ، هذا الوجود القصير ، حقاً ، ولكنه جميل ».

الى جميع الشرفاء في العالم[1]

ان نداء ستوكهولم يرمي الى الدفاع لا عن سلم سوفياتي او صيني او اي سلم اخر . انه يرمي الى الدفاع عن السلم . عن السلم للجميع .

•

اتوجه بكلامي الى الجميع ، الى الكتاب امثالي ، والى رفاقي : من عمال وموسيقيين وعمال حفر ، من اطباء ومزارعين ، من اكاديميين وطلاب ، من علماء تربية و كرامين ، من علماء رياضيات ومحاسبين متواضعين ، من مؤرخين ورعاة ، من مهندسين وربات بيوت ، من جدات وخطّاب ، أتوجه بكلامي إلى جميع النساء والى جميع الرجال في العالم .

لست أريد هنا أن أناقش في الأفكار . لست اريد هنا ان امجد او استنكر . بل اتكلم عن شيء آخر : عن الخطر الذي يخيم

١ — نشرت في ايلول ١٩٥٠

على جميع النساء وعلى جميع الرجال في اي مكان كانوا ، عن الخطر الذي يهدد بابادة ملايين الناس وبازالة معالم الثقافة والحياة .

وهذا الخطر واحد بالنسبة للاميركيين والفرنسيين ، بالنسبة للروس والانكليز ، بالنسبة للبولونيين والمكسيكيين . انه واحد بالنسبة لجميع البلدان ولجميع القارات .

هـذا الخطر واحد بالنسبة للشاعر الشهير كما بالنسبة للمحاسب المغمور .

هذا الخطر واحد بالنسبة للمؤمنين والملحدين، بالنسبة للشيوعيين والمحافظين، بالنسبة لليساريين واليمنيين، بالنسبة للمثاليين والماديين، بالنسبة للماركسيين والكاثوليك .

هذا الخطر يخيم على كل بلد ، على كل منزل ، على كل مهد . اما الطفل فلا يعلم. وهو يبتسم، ساعة نومه، لأمه وللفجر وللحياة. بيد ان الأم تعلم . بيد ان الكبار يعلمون . والى هؤلاء اوجه خطابي ، الى هؤلاء اوجه هذا النداء :

« اوقفوا ، احموا ، انقذوا . انقذوا اطفالكم وكل الاطفال ، كل الانسانية . انقذوا الثقافة . »

ان السفلة الذين يحتل لديهم التلاعب السياسي والمصالح الشخصية مكانة اعز من مكانة جميع الاطفال في العالم، هؤلاء السفلة الذين لا تهمهم حياة الشعوب، يقولون ان نداء ستوكهولم لا يعود بالفائدة إلا على جماعة معينة ، بما انه موجه ضد القنبلة الاميركية .

لست ادري اي شيء يهيمن في هذا الكذب : أهو السفالة أم البله . ولماذا يكون نداء ستوكهولم موجهاً ضد القنبلة الاميركية وحسب ؟

ان العالم بأسره يعلم ان السلاح الذري ليس احتكاراً لبلد معين او لجماعة معينة . وقد جاء في نداء ستوكهولم ان الذي سيعتبر مجرم حرب انما هو الذي سيستعمل هذا السلاح الذري قبل غيره .

لم يجيء في نداء ستوكهولم ان الذي سيبدأ في استعمال هذا السلاح من هذا البلد او ذاك ، من هذه الجماعة او تلك ، سيعتبر مجرم حرب . بل جاء فيه فحسب : منع السلاح الذري الذي يسعه إبادة ملايين الناس ، ومحو البلدان والثقافة .

ويقول السفلة ان السلاح الذري مفيد لجماعة وليس مفيداً لأخرى . ولست اعلم ما الذي يبرز في هذا الكذب : أهو الظمأ للدم ، او النضوب في الفكر .

ويلجأ السفلة الى الحساب ، فيعدون المخزون من القنابل الذرية . غير ان القنابل لا تستطيع ان تفصل في مصير العمليات العسكرية . ان القنابل تستطيع فقط تخريب المدن وتقتيل ملايين الأبرياء .

ولا يتكلم السفلة عن حساب آخر : عن عدد الاطفال الذين يمكن ان تهلكهم كل قنبلة ؟ أفليس سواء لدى الباريسيين ان تكون القنبلة التي تهددهم اميركية او غير اميركية ؟ أليس سواء

لدى سكان اوسلو او نابولي ان تكون القنبلة التي تسقط على رؤسهم – اذا وجب سقوطها – الاولى او الخامسة ؟

ان نداء ستوكهولم لم يطلب تحريم جميع القنابل ، من الاولى حتى الاخيرة .

ويقول السفلة : « ولماذا كان نداء ستوكهولم موجهاً ضد السلاح الذري، وليس ضد جميع الأسلحة بصورة عامة. لماذا يريدون تحريم القنابل الذرية ولا يتطلبون تحريم المدفع والرشاشات ؟ »

ان نداء ستوكهولم وضعه انصار السلم الذين لا يبغون إنقاذ الاطفال من القنبلة الذرية وحسب ، بل يبغون ايضاً إنقاذ الجنود من الرصاصات العادية .

وما نداء ستوكهولم إلا الخطوة الاولى في طريق صعبة . وليس من المستطاع اجتياز كل الطريق اذا لم يجر البدء بالخطوة الاولى. ولا يمكن التفاهم على سلم وطيد إذا لم توضع القنبلة الذرية خارج القانون .

ان السلاح الذري افظع سلاح وأفتكه وأدهاه . وجميع الناس يعرفون هذا ، من العلماء الاميركيين الى الفلاحين اليابانيين . ولهذا كان من الواجب قبل كل شيء ، تأمين منع السلاح الذري .

ليس في هذه القضية فئتان: الفئة السوفياتية والفئة الاميركية. ان في هذه القضية : الناس الذين يبغون قذف القنبلة الذرية ،

والناس الذين يمكن ان تقع هذه القنبلة عليهم .

ان في هذه القضية فئتين : الاطفال ، والقنبلة .

يقول السفلة ان نداء ستوكهولم يدافع عن السلم السوفياتي . ليس ثمة سلم سوفياتي ، كما انه ليس ثمة سلم اميركي .

هناك السلم ، بكلمة واحدة .

حقاً ان الشعب السوفياتي في حاجــة الى السلم . ولكن ، أليست الشعوب الاخرى في حاجة اليــه ايضاً ؟ اليس الشعب الاميركي في حاجة الى السلم ؟

ليس ثمة ، في ايامنا هذه ، سلم وطيد على الارض . ان في ايامنا هذه قنابل تتساقط على بلدان مختلفة . ان في ايامنا هذه اناساً يموتون في كوريا وفي الفييتنام .

فيجب وقف هذه الحروب المنعزلة . يجب تثبيت هـذا السلم الضعيف وتوطيده .

وفي الامكان تحقيق ذلك ، باحاديث عــن السلم ، لا بالقنبلة الذرية . في الامكان تحقيق ذلك ، بالتفاهم لا بالحرب .

ان نداء ستوكهولم يرمي الى الدفاع ، لا عـن سلم سوفياتي او صيني او اي سلم آخر . انه يرمي الى الدفاع عن السلم ، وحسب ، عن السلم للجميع .

هناك خبثاء وسفلة يقولون ان نداء ستوكهولم نداء شيوعي ، لأن الشيوعيين قد وقعوه .

ولست اعلم مـاذا يهيمن في هـــذا التأكيد : أهو الكذب ام اللؤم .

لقد سبق ان وقع نداء ستوكهولم عدد مـن الاشخاص الذين لا يظن احد بانهم شيوعيون. ومن يقول ان رئيسي مجلس الشورى في ايطاليا ، سابقاً ، اورلاندو ونيني ، هما شيوعيان .

من يقول ان اساقفة بولونيا الكاثوليكيين هم شيوعيون ؟ من يقول ان المرسل الكندي ، انديكوت ، شيوعي ؟ من يستطيـع ان يضع في صف الشيوعيـــين رئيس مجلس الشورى في مصر او وزراء سوريا ؟

من يستطيع ان يلصق الشيوعية بالكاتبين توماس مـان وبيير بنوا، والرسام ماتيسو الذي يزين اليوم احدى الكنائس الكاثوليكية، والمهندس المعمار لوكوربوزيه ، وكثيرين مـن الاشخاص الشرفاء الذين وقعوا النداء ، رغم بعدهم عن الشيوعية .

فاذا كانوا عـلى غير وفاق مع الشيوعية ، فهم يريدون ان يناقشوا ويفكروا ويعملوا ، لا ان يرموا القنابـل او ان يكونوا هدفاً لها .

في انكلترا واميركا اناس سفلة يسألون : « لماذا يوقع جميـــع الشيوعيين نداء ستوكهولم ؟ لماذا كان عـــدد اللاشيوعيين الذين يوقعون النداء ، في هذه البلدان ، ضئيلاً غير كبير ؟.. ولكن هل يمنعهم احد من توقيع هذا النداء ، اذا استثنينا رجال البوليس المتحمسين ؟ وهل يجب على المرء لـكي يوقع ، ان يقـــدم شهادة

بمعتقداته السياسية ؟

ان اللاشيوعيين في اميركا اكثر بكثير من الشيوعيين . وان اللاشيوعيين في انكلترا اكثر بكثير من الشيوعيين .

فاذا كان جميع الاميركيين وجميع الانكليز الشرفاء يوقعون، فمن ذا الذي يصفهم إذن بالشيوعيين ؟

واذا قال شيوعي انه يفضل الشمس على المطر ، فالشمس ان تصبح شيوعية لهذا. واذا ناضل شيوعي ضد الحريق وسعى لاغراق المنزل الملتهب ، بالمياه ، فالمياه لن تصبح شيوعية لهذا .

ليس هناك من شيوعيين وغير شيوعيين، في قضية تحريم القنبلة الذرية، بل هناك أناس يهتمون بصناعة القنابل واستخدامها وأناس آخرون يطلبون تحريم هذا السلاح القتال .

هناك سفلة يقولون ان نداء ستوكهولم ذو مصدر سوفياتي ، لان المواطنين السوفياتيين يوقعونه ، هم ايضاً .

ولست اعلم ماذا يهمن في هذا الكذاب : الحقارة ام الخوف. اجل ، ان السوفياتيين يوقعون نـــداء ستوكهولم . اجل ، ان السوفياتيين لا يريدون الحرب .

لقد وقع هذا النداء ابطال ستالينغراد والفتيات التي تقيم هذه المدنية من جديد . لقد وقع هذا النداء ارامل الجنود الذين سقطوا في ساحة الشرف ، والأمهات اللواتي لا يردن ان يهلك اطفالهن . لقد وقع هذا النداء الملايين من الناس المنهمكين في العمل السلمي.

ان عامل البناء الذي يبني ، والبستاني الذي يغرس الشجرة ، يكرهان القنبلة . ان المدرّس الذي يعلم الاطفال لا يمكن ان يبقى هادئاً امام فكرة القنبلة . ان جميع السوفياتيين يريدون السلم ، ولهذا السبب يوقعون نداء ستوكهولم .

واني لأعلم ان السوفياتيين ليسوا الوحيدين الذين يريـــدون السلم . فأنا اعلم ان هناك عمال بنـــاء في ايطاليا ، وبستانيين في امـيركا ، ومدرّسين في فرنسا ، وان هؤلاء ايضاً لا يستطيعون التفكير في القنبلة الذرية ، بهدوء .

فأنا اوجه الى هؤلاء ، الى كل الناس ، هذا النداء : لنبعـــد الخطر الرهيب قبل ان يفوت الأوان .

اني اتوجه الى كل الناس ذوي النوايا الطيبة ، أياً كان المـكان الذي يقيمون فيه ، اتوجه اليهم بكل بساطة ، ومـــن كل قلبي ، وبشعور في واجبي وفي مسؤوليتي ، بوصفي رجلاً عاش حربـــين رهيبتين ، وبوصفي كاتباً يرتبط مصيره بمصير الثقافة العالمية .

ضعوا تواقيعكم في ذيل النداء الموجه ضد القنبلة الذرية .

واذا كنتم قد وقعتموه ، فابذلوا وسعكم لـكي يوقعـــه ايضاً جميع اصدقائكم وجيرانكم .

بينوا لـكل شخص ان هــذا النداء ليس خدعة سياسية ، ولا خطة دبلوماسية ، بـل هو صوت جميـع الناس الشرفاء في العالم .

تذكروا ان كل دقيقة لها قيمتها . اعلموا ان كل توقيـــع له وزنه .

ان تنفس الحرب يلامس وجه الانسانية فواجبنـــا ان نقطع عليها الطريق .

واجبنا ان نقيم جداراً لا يمكن تحطيمه .

علينا ان نكسب السلم .

صوت الشعوب[1]

تروي قصة قديمة ان الذئب يتخفى بزي جدة طيبة ليفترس الفتاة ذات القبعة الحمراء. فيعتم بعمامة الجدة ويتحدث همساً بحنان، ولكنه ينسى اخفاء اسنانه الطويلة.

وفي الاسابيع القليلة الماضية، ابتاع الذئاب الذين يقطنون شطآن نهر بوتوماك، حمائم، واقتطعوا اغصاناً من الزيتون، وتعلموا، بسرعة فائقة، القاء خطب تعرب عن حبهم الملائكي للسلم. ولكن حادثة مزعجة وقعت قبيل افتتاح الدورة الثانية لمجلس السلم العالمي، وقبل افتتاح اعمال الجمعية العمومية لمنظمة الأمم المتحدة باسبوع : فقد صدر، في الولايات المتحدة، عدد

---

١ – نشرت في تشرين الثاني ١٩٥١

خاص من المجلة الواسعة الانتشار « كوليرز » وكان مكرساً لوصف الحرب ضد الاتحاد السوفياتي . لقد جرى تحضير هذا العدد ، على حد قول قلم التحرير ، مدة تسعة اشهر ، وساهم فيه لا الادباء الجهابذة وحدهم ، وانما ايضاً « اشخاص من اكثر الناس اختصاصاً في مادة السياسة والمسائل العسكرية والاقتصاد ، بما فيهم موظفون كبار في واشنطن وخبراء في القضايا الدولية » . وبذلك كان تحرير هذا العدد الخاص من « كوليرز » يجري في آن واحد وبصورة موازية لـ « مشروع السلم » الذي تحدث عنه السيد انشيسون في باريس . لقد عزم الذئاب الاميركيون على إظهار عمامة الجدة ، ولكنهم نسوا إخفاء اسنانهم .

اراد « الناس المختصون » و « موظفو واشنطن الكبار » ، بتحريرهم العدد الخاص من « كوليرز » ، ان يبينوا للاميركيين السذج ان الحرب العالمية الثالثة لا مفر منها ، وانها ستكون ، بالنسبة لسكان العالم الجديد ، قضية مربحة ، اولا ، ونزهة مبهجة ، ثانياً . ويمثل غلاف المجلة خارطة الاتحاد السوفياتي وعليها إشارة « احتلال » ، وشرطياً من شرطة الجيش يمسك بيده الحربة ويذكر ، الى اقصى حد ، بفرد اصيل من افراد فرق الهجوم الهتلرية (S.S) .

ويصف محررو مجلة « كوليرز » ، بتفاصيل وافية ، تهديمات المدن السوفياتية وانتصارات الاميركيين الاسطورية . حقاً ، ان كل انسان مفكر سيدهش من تبجح كهذا ، وسيذكر ان

لاميركيين قد ابثوا طويلاً في بلجيكا و فرنسا عندما اصطدموا بفرق هتلر الاخيرة المنهوكة القوى . وسيفكر بأن (اللاحاربيين) الذين اعترضهم صمود حازم في كوريا يحلمون بالاستيلاء على اكبر بلد في العالم . ولكن « كوليرز » ترى ، على ما يبدو ، ان ليس في الملايين من قرائها من يفكر . لقد كلفت المجلة احد محرريها بأن يصف تهديم موسكو ، وكلفت آخر بأن يصف هبوط المظليين ، وكلفت ثالثاً بكتابة بلاغات الانتصار وليس هـذا مجرد بلاهة وبهورة، انها ناطحات سحاب من البلاهة، ورقم قياسي في البهورة. ان احراز الانتصارات على صفحات مجلة اميركية ، ليس بالأمر العسير . ولم يكن من الضروري ، حقاً ان يتعب المرء ويكد هذا مدة تسعة اشهر .. تقول اغنية قديمة للجنود :

يبدو هذا جميلاً على الورق ،
ولكنهم نسوا المنحدرات والوديان ،
وها هنا ينبغي ان نسير ...

لقد كان على قلم التحرير « كوليرز » ان يفكر بالمنحدرات والوديان وان يتذكر الطريق التي اجتازها الهتلريون — منذ ايام البهورات على ملعب نورمبرغ الرياضي ، حتى ايـام المشانق في المدينة نفسها .

وبعد ان يصف المتأدبون الاميركيون تهديم الاتحاد السوفياتي، وبالمناسبة نفسها، تهديم كل اوروبا ، راحوا يحلمون بالجنة التي ستقام على الارض . واليكم بعض مشاريع هؤلاء الجنتلمانات الكلبين .

« تباع المصانع السوفياتية او تؤجر للمتعهدين الاجانب » .

« يدعى مسرح الجيش الاحمر مسرح العالم الجديد ، وتمثل فيه المسرحية الاميركية « الكسالى والنساء » .

« تنشر صحيفة موسكوفية كبيرة ، في صفحتها الاولى ، قصة الممثلة السينمائية جيني جيمس ، وعنوانها « كيف احببت وكيف كففت عن الحب في ساروفاك » .

« تصدر مجلة « كوليرز » في موسكو ، باللغة الروسية » .

من الصعب تصور سطحية اشد من هذه السطحية وبربرية اعظم من هذه البربرية . ان مجلة مرتبطة بتروست مورغان ، تحلم بتهديم نصف العالم ليستولي مورغان على المصانع السوفياتية ولتباع مجلاته في روسيا .

لقد اثار العدد الخاص من « كوليرز » ذعر الرأي العام في الغرب بأسره . ولا فائدة من القول ان الاوصاف الدموية التي أتى عليها « الاشخاص المختصون » في واشنطن ، قد أثارت حفيظة انصار السلم . ولكن الجرائد الموضوعة تحت تبعية البيت الابيض ووزارة الخارجية ، إن لم تكن قد اثيرت حفيظتها ، فقد انزعجت على الاقل . فقد وصفت جريدة « موند » الفرنسية ، العدد المذكور من « كوليرز » بانه « استفزاز » ، وحتى في اميركا ، احتجت بعض الصحف التي لا يمكن لاحد ان يتهمها بالعطف على الاتحاد السوفياتي . ولست اظن ان السيد اتشيسون كان مسروراً جداً من حماسة معاونيه الذين اشتركوا في تحرير عدد « كوليرز » :

فان لكل شيء وقته ، وقد صدرت المجلة في وقت غير مناسب ، لان مندوبي الولايات المتحدة عزموا على التحدث عن حبهم للسلم امام الجمعية العمومية . ومن ذا الذي سيخدع ، بعد اليوم ، بحمامة الجدة ؟ ان الاسنان الظاهرة في غلاف « كوليرز » هي اشد اقناعاً .

يبين مراسل « موند » في واشنطن ، في عدد ٦ تشرين الثاني، لماذا عزم السيد اتشيسون على التحدث في باريس عن السلم لا عن نجارب لاس فيغاس : « يجب اخذ الاتحاد السوفياتي بالسرعة... ان ستراتيجية القاعدة لا تزال كما هي ، ولم يتغير إلا التكتيك . ومع ذلك فمن المسلم به هنا ان دعاية موسكو للسلم قد سجلت من النقاط ما يكفي لجعل الاجابة عليها اليوم امراً ضرورياً » . ويفيد المراسل نفسه ان واشنطن مستاءة من الأذناب الاوروبية : فذئاب بوتوماك يرون ان تركيا ويوغوسلافيا واليونان وحدها تحسن التصرف . وكتبت « موند » تقول : « ان الروس يهتفون من جميع السقوف : « نريد ميثاقاً للسلم » . فهل يدركون وقع هذا الاقتراح في الرأي الشعبي ؟ ليست تواقيع « انصار السلم » جميعها مأخوذة بالحيلة او بالعنف... او ينسى ستراتيجيو الحرب الباردة اهمية السلاح النفسي الاساسية ؟ »

ان من الصعب على صحيفة ترضى بدور متواضع — أن تكون صحيفة الولاية التاسعة والاربعين او التاسعة والخمسين — ان تفصح عن رأيها بأصرح من هذا.

حقاً ان السيد اتشيسون لواثق من طاعة مختلف المندوبين في الجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة . ولكنه يدرك ايضاً ان التصويت لا يقرر كل شيء : فالى جانب المئات من الدبلوماسيين المدربين تدريباً جيداً ، توجد مئات الملايين من الناس الذين يتساءلون ، بجد ، عما اذا كان صدور « كوليرز » باللغة الروسية يستحق عناء الموت ؟ وقد بدأت مئات الملايين من الناس تطرح على نفسها هذا السؤال : لماذا يتألم الناس، على ضفاف السين والتيبر والتايز والنيل والغانج ، لماذا يتقرر مصيرهم من قبل ذئاب بوتوماك ؟ ان « حب » اتشيسون « للسلم » يتفسر لا بوساوس ضمير رجال الاعمال، بل بقوة انصار السلم . لسنة خلت وحسب، كان اولئك الذين يتولون مهنة «الاشخاص المختصين» في واشنطن، يتحدثون عن نداء ستوكهولم وعن مؤتمر السلم ، بابتسامة هازئة . ولكنهم لم يعودوا يضحكون ، بل هم يجربون ، بكل سرعة ، عمامة الجدة .

لست اقدر، قط، قيمة النجاحات المحرزة ، بأكثر مما تستحق. فالخطر لم ينقض . و « الموند » علـى صواب في ملاحظتها ان كواسر واشنطن قد غيروا تكتيكهم ولم يغيروا ستراتيجيتهم . انهم لم يتخلوا عن مشاريعهم ، بل هم مضطرون الى المداورة والتحايل والى صرّ عدد « كوليرز » بمناشفهم والخروج من ذلك بخطب تستتر فيها المشاريع الحربية بالأحاديث عن فائدة السلم . وهم يدركون انهم قد يجدون انفسهم ، فجأة ، في مجتمع ضيق

جداً : مع تيتو والانكشارية .

لقد انتهت الدورة الثانية لمجلس السلم العالمي اعمالهـا ، في نفس اليوم الذي افتتحت فيه الجمعية العمومية للامم المتحدة. وقد وضع ممثلو الشعوب برنامجاً للسلم وأرسلوه الى ممثلي الحكومات . وقـد كرس عدد كامل من مندوبي دورة فيينــا لمجلس السلم العالمي ، كالأب بوليه ومدام ستريت وغيرهما ، - كرسوا احاديثهم لمنظمة الامم المتحدة . وقد بينوا كيف حادت منظمة الامم المتحدة التي وضعت فيها جميع الشعوب آمالها ، عـن طريق السلم . لا يرغب الأب بوليه ولا مندوبة استراليا مدام ستريت ولا غيرهما مـن اعضاء مجلس السلم العالمي الآخرين، في نسف منظمة الامم المتحدة، كما تكتب الصحف الاميركية . بل بالضـد ، انهم يريدون ان ينقذوا منظمة الامم المتحدة وان يعيدوا اليهـا نفوذها الضائع في ضواحي نيويورك . وقد وجه مجلس السلم العالمي الى منظمة الامم المتحدة نداءاً عرض فيه افكار جميع الشعوب المحبة للسلم ومطامحها. وسيكون من الصعب التسليم بأن تقرر الجمعية العمومية طرح مثل هذه الوثيقة على بساط البحث . حقـاً ان للسيد اتشيسون اكثرية مؤمنة من الأصوات . ولكن الأرجح انه يدرك ، هو الآخر ايضاً، ان الى جانب هذه الأصوات يوجد في الجمعية صوت يستحيل خنقه : هو صوت الشعوب .

تكلم الكاتب الصيني الكبير كيو موجو ، امام مجلس السلم العالمي ، فذكّر ، وجاء هذا التذكير في وقته تماماً ، بان الرجوع

عن الخطأ خير من التمادي فيه: هذه هي الامكانية الوحيدة للوصول الى الهدف . ولكن اذا تمادى الانسان في خطأه ، بعد الهدف ونأى . ان طريق السلم لا يمر باحتلال تايوان ولا بتسليح فرق الهجوم الهتلرية ولا بتهديم المدن الكورية ولا بالمهزلة التي مثلت في سان فرنسيسكو ولا بالركض الى التسلح . ان طريق السلم يمر بالتفاوض الصادق للاتفاق ، وبمنع السلاح الذري ، وبنزع التسلح نزعاً من شأنه ان يضمن امناً متساوياً للدول ، كبيرها وصغيرها. لقد تمادت منظمة الامم المتحدة ، كثيراً ، في خطئها . وليس من قبيل الصدفة ان يكون غلاف عدد « كوليرز » السافل مزيناً براية منظمة الامم المتحدة الزرقاء: فلقد وضع الذئاب هذه الراية، نهائياً ، في صف ادواتهم المستعملة للتمويه العسكري . ولكن لا تزال لمنظمة الامم المتحدة الامكانية لترك طريق الحرب وللانخراط في طريق السلم .

لقد اظهرت دورة فيينا ان فكرة الدفاع النشيط عن السلم ، قد تغلغلت الى اعمق اعماق الضمائر الشعبية. لقد رأينا مندوبي فرنسا والفيتنام ، وانكلترا وبورما ، ومصر واليابان ، ومندوبي الهند، والباكستان ، والعراق ، وإيران ، ومراكش ، وجميع بلدان اوروبا ، ومندوبي اميركا ، أناساً عالمي الشهرة وممثلين متواضعين لوسط فلاحي ولمجلس كنائسي وللطلاب والنقابات . وقد تكلم مندوبو جميع البلدان عن ضرورة تعزيز المبادلات الثقافية بين الامم المختلفة . وتكلموا بصفتهم ممثلين لشعوب لن تسمح ابداً بأن يقرر

أصحاب الاعمال الأجانب مصيرهم. ان صيف عام ١٩٥٢ لا بد ان يكون ، حسب زعم معتوهي « كوليرز » ، صيف الخلاف . ولكن مجلس السلم العالمي، الواثق من قوة الشعوب جميعاً ويقظتها. صرح بأن صيف عام ١٩٥٢ ينبغي ان يكون صيف السلم . فهو سيكون مكرساً لتبادل الوفود ولرحلات الطلاب ولمختلف المبادرات الثقافية التي ستسمح للشعوب بان تتعارف خير التعارف.

ولسوف نعلم ، عن قريب ، ماذا سيكون موقف الجمعية العمومية من صوت الشعوب الحقيقي . ان هناك الطريق الذي عرضته مجلة « كوليرز » – طريق الاستفزاز ، والعداء والتسلح ، وأخيراً الحرب الدامية. وهناك طريق آخر – طريق السلم. وانا لعلى ثقة بان الانسانية ستتبع هذا الطريق الأخير .

اذا اردت ان تعيش كما تريد ...

يقول المتشائمون : « لا يزال الدم يجري في كوريا ، ولا تزال الشعوب في قلق ، ولا تزال الحرب الباردة آخذة مجراها . فبماذا جاء مؤتمر فيينا ؟ » لا شك ان الطريق التي تؤدي إلى السلم طويلة: ان بناء البيت أصعب بكثير من هدمه إلا أنه قد بذل كثير من الجهود في سبيل البناء . فمؤتمر فيينا يشكل خطوة إلى أمام ليس لأنه أيد معايشة النظامين السلمية فحسب بل لأنه أعطى البرهان على امكانية هذه المعايشة .

انه من السهل لأي حزب كبير أو لأية منظمة كبيرة ان تدعو الى عقد مؤتمر كبير . أما مؤتمر فيينا فقد كان عقده على شيء من

الصعوبة : إذ ان المسألة مسألة التقاء ممثلي أحزاب مختلفة ، ذوي نزعات مختلفة شكل من أشكال تلك الطاولة المستديرة للأمم التي تحلم بها الانسانية المعذبة . لم يكن بالامكان عقد مثل هذا المؤتمر في عام ١٩٤٩ مثلا ولا في عام ١٩٥١ . ولم يصبح الحلم في السلم سبباً للسلم إلا بعد سنين من الكذب والخوف ، ورؤية كوريا المدمرة ، وحياة الفقر التي تعيشها مئات الملايين من الناس ، واحتلال عشرات البلدان من قبل الأجنبي ، وبعد تعاليم التاريخ القاسية .

ان الذين يتعامون أو يكنون نيات غير صافية تماماً ، يؤكدون ان مؤتمر فيينا جرى بإشراف الشيوعيين وأنصار الاتحاد السوفياتي ، وان جميع المؤتمرين الآخرين سحقوا أو أبعدوا ، أو حطموا معنوياً ، أو لم يكن لهم من وجود ، لأن عضو حزب العمال الذي قرر الذهاب الى فيينا أصبح لهذا السبب بالذات شيوعياً ، وجان بول سارتر قد أنكر وجوديته بمجرد تجرؤه على الجلوس بالقرب من أراغون وفيدين .

اني سوف لا أتبسط في الحساب : فلقد سبق وأجابت الصحافة ان الشيوعيين وأنصار الاتحاد السوفياتي لم يكونوا الأكثرية في مؤتمر فيينا بل الأقلية . ولكني أريد أن أشير بنوع خاص الى أمر آخر : ان المؤتمرين ، بمجيئهم إلى فيينا ، لم يتنكروا لآرائهم ولا لميولهم ، بل دفعتهم أمانتهم لأنفسهم ، لنظريتهم في الحياة ، لميولهم ولتقاليدهم . فلم يضطر جيوبي تيدتي للتخلي عن مفاهيم الليبيرالية

حتى يشترك في أعمال مؤتمر الشعوب ؛ بل علـى العكس من ذلك انه لم يأبه للاوهام ولا لعرقلات البوليس لأنـــه شعر ان خطراً يهدد هذه المفاهيم . لقد أتى السيد نيتي إلى فيينا لأنه أراد أن يظل السيد نيتي .

ان السيدة بياجيو عندما جلست عـلى منصة الرئاسة في مؤتمر فيينا لم تتخل لا عن إيمانهـا الكاثوليكي ولا عن مواقفهـا السياسية البعيدة جداً عن الشيوعية؛ لقد أتت إلى فيينا لأن كل هذه الأشياء عزيزة عليها. يمكن بالطبع إقصاء جميع الانكليز الذين كانوا يمثلون في المؤتمر ملايين العمال الانكليز عن حزب العمال ولكن ذلك لا ينزع عنهم، أبداً ، صفتهم الحزبية العمالية، لأنهم مرتبطون إرتباطاً وثيقاً بجهاز حزبهم . فقد حدثت الكثيرين منهم ، واعلم ان الذي دفعهم إلى المجيء إلى المؤتمر هو تعلقهم بالحركة العمالية، «بالتريدونيون» وبمفهومهم عن الحياة الذي تكوّن فيهم خلال عشرات السنين. هل نحن في حاجة إلى القول ان اصدقاء اللواء نجيب لم يأتوا إلى فيينـا من أجل درس النظرية الماركسية ، وان السيد كوك أحد أنصار الرئيس بيرون ، لم يترك مناسبة تفوته إلا أكد فيها تضامنه مع نظام لا يذكر نظام الاتحاد السوفياتي في شيء، وان الراديكاليين الفرنسيين كانوا مقتنعين كل الاقتناع ، قبل المؤتمر وخلاله وبعده ، ان النظام السياسي في فرنسا يوافقهم أكثر من نظام بولونيا السياسي، وان رجال الدين الذين يدينون بمختلف المذاهب والذين حضروا المؤتمر انما أتوا مـن أجل خلاص رعاياهم وكنائسهم وإيمانهم وليس

من أجل بناء المجتمع الاشتراكي ولا من أجل خلاص المادية التاريخية أو أهداف الشيوعية .

لقد تحدثت حديثاً ودياً مع جان بول سارتر . إلا ان ذلك لم يبدّل نظريتي في فلسفته ولا نظريته في الفلسفة التي أفضلها . لقد أتى إلى فيينا بقصد الدفاع عن آرائه ، عن منطقه وعن نظريته في حرية الاختيار . ان الآراء التي يحبها تختلف عن التي أحب ، إلا ان الآراء التي يحبها هو ، والآراء التي أحبها أنا مهددة كليهما بالخطر نفسه ، الا وهو خطر الحرب ، وكلاهما يخيم عليهما الظلام بسبب القلق نفسه . ولما كنا كلانا نريد تفادي الكارثة، فقد جلسنا على طاولة واحدة . ان الذين يتعامون أو يكنون نيات غير صافية تماماً ، يمكنهم أن يقولوا ان سارتر عندما أتى إلى فيينا . ان الحياة تجري مجراها طبعاً ، وان طريق الكاتب طريقاً معقدة ، ولكنني على يقين من ان سارتر قد أتى الى فيينا لأنه كان يريد أن يظل « سارتر » .

لقد قلت أكثر من مرة ان الحرب تشكل ميداناً صالحاً للجدل . ففي الحرب لا يظهر الرجال والشعوب مزاياهم الخاصة ولا يقولون بالاراء العزيزة عليهم . يتحدثون الان كثيراً عن « حملات صليبية » . ألم يحن الوقت للقول عالياً ان الحملات الصليبية خدمت كل شيء تريدون ما عدا الدعاية للاخلاق المسيحية ؟ لقد كان بونابارت يؤكد لمواطنيه انه جلب لأوروبا الأفكار المتقدمة التي خلفتها الثورة الفرنسية . وفي جميع عواصم أوروبا الملكية لم يعط

الكورسكي المغامر سوى اسم « جاكوبان » . مع ان الحروب التي قام بها لم تكن لتمت بأيـــة صلة الى بيانات مجلس الثورة (الكونفانسيون) عن الاخاء بين الشعوب ولا الى الاراء عـن الحرية التي كانت توقظ الحماسة في الشعب الفرنسي في عهـــد تلك النهضة لا توجد حروب تمليها الأفكار بل توجد حروب تهـدم كل امكانية بالتفكير . وكما ان ألوان التمويه تخفي جميع الألوان ، كذلك الحروب تمحو وتزيل وتحصد مختلف النظريات .

سيدخل القرن العشرون في التاريخ كقرن الصراع الكبير بين طبقتين ، بين مجتمعين ، بين نظريتين . وهذا الصراع لا يمكن حله بقوة السلاح لأن البلدان المختلفة لا تتصارع من أجل التفوق بالأسلحة أو لوضع الخطط بل مـــن أجل تفوق التنظيم السلمي للاقتصاد . يؤكد المدافعون عن الرأسمالية ان المضاربة الحرة ، والمبادرة الخاصة ، ووجود مختلف طبقـــات المجتمع والحريات الدستورية الناجمة عنها هي ضرورية لصالح البشرية . اما الحروب فمن شأن كل منها هدم القيم المادية وتخفيض مستوى المعيشة وتدخل الدولة في الاقتصاد والحد من مختلف « الحريات » وعليه ، فـأن المدافعين عن الرأسمالية ، إذا كان بامكانهم أن يفكروا بامعـان ، فلا يمكنهم أن ينتظروا خلاص نظامهم عن طريق الحرب . كما أنه لا يوجد واحد من أنصار الاشتراكية يمكن أن يريد الحرب لأن بناء الاشتراكية لا يتوقف على إرادة الرجال فحسب بل على قاعدة مادية من شأن كل حرب ، حتى المظفرة منها ، أن تهدمهـا أو أن

تنزل بها ، على الأقل خسائر فادحة . هذه هي بالضبط الاعتبارات التي سمحت لأنصار مختلف الأنظمة بعقد اجتماع سلمي لمناقشة التدابير التي يجب اتخاذها من أجل الدفاع عن السلم .

ان من حضر مؤتمر الشعوب ومن رأى باي انتباه وباي جلد أصغى الالفا مندوب الى مختلف الخطب التي كانت تتضمن أحياناً انتقادات لنظريات عزيزة على هذا او ذاك القسم من الحاضرين ، وان من اشترك باعمال المؤتمر ولاحظ مجهود الرجال من مختلف الاراء بغية الوصول الى اتفاق وإيجاد حلول يرضى عنها الجميع يعلم جيداً اننا ، نحن أنصار السلم ، لسنا حالمين ولا واهمين . ولقد أكد المندوبون الالفان الى مواطنيهم في ٨٥ بلداً انه ، اذا حسنت النية ، يمكن الوصول الى اتفاق ، وان الذي حققه ممثلو الشعوب يجب ان يحققه الآن ممثلو الحكومات .

اذا كانت الحرب سواء الحامية او الباردة تجلب معها التساوي في الشقاء وتحطيم كل شخصية ، فالسلم يعني تطور الثقافات الوطنية ، انتصار الأذواق الوطنية ، صيانة الميول الكبيرة منها والصغيرة الخاصة بجميع الناس وبجميع الشعوب . عندما نتكلم عن غنى الثقافة الانسانية ، لا نتكلم عن شيء مجازي ، نبت في مكان مجهول ، بل عن عظمة كل شعب عبر عن طبيعته الخاصة وزاد بذلك ثروة الانسانية الثقافية . هل يمكن المرء ان يتخيل العالم بدون باريس ، بدون هذه الغابة من الحجارة القديمة ، بدون هذه المدينة التي تشبه منظراً طبيعياً لم يُصنع وفقاً لتصميم خاص ولكنه ، بالرغم من

ذلك، كله انسجام ؛ بدون هذه المدينة التي دخلت تاريخ الانسانية جمعاء والتي أصبحت شوارعها مألوفة ، بواسطة عشرات الروايات ، لدى طلاب ملبورن وبراغ ؛ هذه المدينة التي بناها الفرنسيون والتي تحمل طابع عبقريتهم القومية ؟ هل يمكن المرء ان يتصور العالم بدون غوته وسرفانتيس وتولستوي وديكنز ؟ كلما علت الشجرة واتسعت أغصانها ، قويت وتعمقت جذورها . ولذلك فان حب الانسان من اية أمة كان لمناظر بلاده ، ولعاداتها والاشياء الصغيرة في حياته اليومية ، جدير بالاحترام ؛ واذا كان الفرنسي يعتز بلوحات « كورو » التي تصور مناظر فرنسا الطبيعية فهو يحب طبعاً صورة صياد السمك الذي يستطيع ان يقضي أحده أمام خيطه وسنارته على ضفاف المارن بانتظار السمكة الحقيقية او الوهمية .

يقال ان الناس لا يقدرون قيمة الهواء إلا عندما يكونون في جو قل هواؤه ، عندما يحصرون في منجم انهار عليهم ، أو عندما يصعدون الى ارتفاع زائد . ففي اثناء الحرب العالمية الثانية ، فهم شعوب العالم أجمع معنى فقدان الاستقلال الوطني والطابع الوطني ؛ وهذا شيء أصبح من الصعب عليهم ان ينسوه ، بل هو الذي جعلهم الآن يفهمون خطر استعباد جديد ، وهو الذي حدا بالشعوب المحرومة استقلالها أن تبادر الى النضال من أجل هذا الحق الأولي المقدس ، وهو الذي جعل الفرنسيين يتفهمون الفياتناميين والتونسيين ومكن الهولنديين من التفاهم مع الأندونيسيين . لقد جاء في

بيانات المؤتمر ان احدى نقاط جدول الأعمال كانت تتعلق بقضية الاستقلال الوطني . يبدو لي ان هذه المسألة شغلت جدول الاعمال برمته وانه لا يمكن فصل قضية السلم عن قضية الاستقلال الوطني. ان أوهام السلميين السابقين يرجع سببهـــا الى اعتقادهم الراسخ بضرورة الغاء الدول باسم السلم وصهر جميـــع الشعوب بشعب واحد يتكلم الاسبيرانتو . إلا ان مؤتمر فيينا قد بين ، عـــلى العكس من ذلك ، انه لا يمكن صيانــــة السلم اذا احتُقرت خصائص الشعوب الوطنية ، وانه يستحيل اظهار هـذه الخصائص الوطنية وحمايتها بدون صيانة السلم .

لقد ذكرت في خطابي في مؤتمر الشعوب بالمثل الفرنسي : « الفحام سيد في بيته » . وقد ناقشني احـــد المندوبين الفرنسيين سائلًا لماذا أنا ضد معاهدة الأطلسي . فكان يقول لي انـه اذا كان الفحام سيداً في بيته فله الحق أن يبيع هذا البيت الى جاره. فأجبته ان الفحام ليس هذا او ذاك من الوزراء الذي لا تتعدى حياته الوزارية في فرنسا الأسابيـع ، بل هو الشعب . والشعب لم يبـع قط بلاده ولم يخنها أبداً . واذا أخذنا لنا مثلًا من فرنسا فيمكننا التذكير بأن الفحام قاتل في فالمي ولم يذهب الى كوبلانس، وان الفحام دافع عـــن حصون باريس ولم يتفق مع بيسمارك ، وان الفحام ذهب مع الأنصار ولم يذهب الى فيشي . وهـذا صحيـح أيضاً فيما يتعلق بالشعوب الأخرى . ان المئات بل الألوف بـــل الألوف من الناس يمكن أن تدفعهم شهوتهم للمال او غباوتهم او

خوفهم او طمعهم الى تحويل منازل آبائهم الى فنـــادق لكبار الاجانب او الى مراكز حربية للجيوش الاجنبية ، ولكن الشعب يحب وطنه حتى عندما يعامله معاملة الأم الشريرة . نحن نشهد ، الآن ، في منتصف هذا القرن العشرين ، حركة جبارة تشمل جميع شعوب العالم . الانكليز والماليزيـــين ، الكوريين ، والأتراك ، الفرنسيين والتونسيين ، الايطاليين والبرازيليين ، الا وهو النضال من أجل الاستقلال الوطني وحق اختيار نظام الحياة ، ومن أجل اللغة الأم والعادات الخاصة والمحيط الخاص . ان هذه الحركة متصلة اتصالاً عضوياً بحركة السلم ، لأن البورجوازي الصغير نفسه ، في اية مدينة من مدن اميركا الصغيرة النائية ، مهما دوختـــه دعايات السيطرة على العالم ، بدأ يفهم انه ليس هنالك إلا وسيلة واحـــدة للاحتفاظ بشكل الحياة الذي يريده وبسيارته وبحبيبتـه جنّي او ماري، بالروايات الهزلية الاميركية وبـ « الجاز » الاميركي والبار الاميركي ، وهذه الوسيلة هي منع الحرب .

لا يمكن المرء أن يتصور الاستقلال الوطني بدون فكرة الامن . ان ساكن مدينة ليفربول او مانشستر ، يعرف الآن انه قد يستفيق في صباح يوم من الايام ، لا على صوت منبهه بل على انفجار القنابل ، وأن يعلم ايضاً ان طائرات اجنبية اقلعت في الليل من الارض البريطانية ورمت القنابل على مدينة تقع في مكان ما على بعد الف ميل مـــن ليفربول او مانشستر وذلك دون ان يكون للنواب ولا لرئيس وزارة بريطانيـــا العظمى علم سابق

بالامر . هل يمكن للفرنسيين او الايطاليين أن يأمنوا للعسكريين الأجانب الذين تمركزوا على أراضيهم ؟ لقد كان زمان حصل فيه البورجوازيون المحظوظون على حق وضع يافطة على بابهم كتب عليها « هنا لا نستقبل جنوداً » وكانت المسألة تتعلق بعسكرة الجيوش الوطنية . اما الان فان جميع دول العالم تطلب إعفاءها من استقبال جيوش اجنبية . أنه من غير المرغوب فيه طبعاً ان يستقبل المرء ضيوفاً يتصرفون في بيته كما لو كانوا في بيوتهم ، فالمسألة ليست مسألة عزة وطنية تهان فحسب ، او مسألة غضب ناجم عن ان ضيوفاً أتوا بدون دعوة يتصرفون تصرفاً سيئاً ويتدخلون بكل الامور . بل المسألة في الأساس هي ان الجيوش المعسكرة يمكن ان تبدأ الحرب بدون موافقة صاحب الدار حتى بدون علمه . فلا يمكن ضمان امن الدولة إلا باستقلالها الحقيقي .

لقد اصبحت أهداف أنصار السلم بعد مؤتمر فيينا اكثر وضوحاً . يمكننا أن نقول لكل انسان : اذا كنت تريد ان تكون سيداً في بيتك فعليك أن تدافع عن السلم . يمكن ان يكون البيت فسيحاً او ضيقاً ولكن الذي يعيش فيه قد بناه ، قبل كل شيء ، لكي يكون بيته . لقد ذهبت الى اللوكسامبورغ . انها بلاد صغيرة جداً ، ولكن لها حق في الوجود كما لاية دولة كبرى تماماً : فهي لا تريد أن تكون لا الساحة التي يمر بها الأشقياء المجاورون ولا طريقاً للعسكريين الوقحين من وراء المحيط . يمكننا ان نقول لكل انسان : اذا كنت تريد أن تعيش كما تريد ، اذا

كان نظام الحياة في فرنسا او ايران يعجبك ، اذا كان نظام الحياة في ايطاليا او كندا عزيزاً عليك ، فاطرد الأوليـــاء والأوصياء والحماة والمدافعين غير المرغوب فيهم . اذا كنت تريـد ان تضمن امن بلادك فتعهد بالعمل على ضمان امن البلدان الأخرى ! يمكنك ان تأمن لنفسك ولكن لا لغيرك الذي تمركز في بيتك، وبندقيته بيـده ، حتى ولو منحته ، احتراماً ، لقب حليف او قريب . اذا كنت كفرنسي تريد ان يجلو الجنود الاميركيون عن فرنسا ، فلا تنسى ان تطلب اعادة الجنود الفرنسيين من الفييتنام . اذا كنت تريد المفاوضات او الاتفاقات والسلم فاطلب بالحاح من نائبك ومن وزرائك ومن حكومة بلادك الدخول في مفاوضات مع حكومات البلدان الاخرى . اذا كنت تريد ان تحافظ عـــلى آرائك وأن تدافع عن نظريتك في الحيـاة وصيانة النظام الذي تحب فاصـدر أوامرك بابعاد القنابل عن طاولة المفاوضات : فالقنابل ليست حجة بل شيئـاً خطراً يشمل خطره جميع الذين يشتركون في المناقشة . انس بكيني . تذكر فيينا . اذا كنت تريـد ان تدافع عن نفسك فدافع عن السلم ، لان كل رجل يعيش ويفكر على طريقته الخاصة وكل مدينة لها وجهها الخاص ، ولكن الخرائب تتشابه كلهـــا ، والهيكل العظمي ليس له لا شعر ولا لون لعيونـه ولا حلم حتى ولا ذكرى .

بعض منشورات دار القلم

●

الحرب والسلام (الكتاب الاول)

تأليف الكاتب العالمي : ليو تولستوي

هذا الطود ، هذه الدرة اليتيمة ، يشع سناهـــا لأول مرة في اجواء اللغة العربية ، ويصور فيها تولستوي الجبار دقائق الحيـاة المترفة في روسيا القيصرية والهوة السحيقة التي كانت تفصل بـــين طبقة وطبقة !

ثم انه يطنب في الحرب واسبابها وبشاعتها وما يلعبه الحظ من الدور الكبير في نتائجها .

ترجمه الى العربية الاستاذ اميل خليل بيدس . وقدم له الدكتور جورج حنا . وتصدر بقية الكتب تباعاً .

١٢٠ صفحة ١٠٠ ق.ل

مع الانسان السوفياتي

بعد ان ينتقل الكاتب ، الى موسكو ، يتوجه بك الى الساحة الحمراء ، ومنها الى الشوارع شارحاً كيفية تنظيم المواصلات في موسكو وأهمها المترو حيث يتركك مندهشاً من عظمتها وبعد ذلك يطوف بك في الاسواق والمخازن ومنها إلى المكتبات العامة وبعد ذلك ينقلك إلى اعظم حديقة في العالم حديقة جوركي لتأخذ فترة راحة قبل ان يتناول بالبحث وضعية المرأة في الاتحاد السوفياتي وينتهي بك المطاف إلى متحف الهدايا التي ارسلت إلى ستالين بمناسبة عيد ميلاده السبعيني .

ابحاث متعددة مدعومة بالصور وبفقرات من الدستور السوفياتي كتبها الاستاذ وصفي البني .

١٦٠ صفحة ١٥٠ ق.ل

●

وعلى الارض السلام

انه السلام الذي يتمناه كل انسان ، والذي نص عليه الانجيل والقرآن . انه الطريق الصحيح الذي يفضح اساليب مشعلي الحرب وخططهم الجهنمية التي يتبعونها لنيل مأربهم الخسيس في سبيل المتاجرة بالارواح من حلف الاطلسي إلى الدفاع المشترك وعلاقة دولة اسرائيل بهذه القضايا مع بيان مفصل مدعوم بالارقام والبيانات

عما جرته وتجره الاحلاف العسكرية على الشعوب والامم من كوارث .

وضع الكتاب الخوري طانيوس منعم وقدم له الشيخ عبد الله العلايلي .

١٢٠ صفحة ليرة لبنانية

●

سلسلة حقيقة اميركا

صدر منها :

اميركا بلاد الحريات المزيفة

فلاديمير بوزنر

لقد قال برنارد شو : « يقولون اني كاتب ساخر ، ولكن لم تبلغ بي السخرية حداً يجعلني اذهب إلى الولايات المتحدة وأشاهد تمثال الحرية على بابها » ولماذا قال ذلك ؟ هذا ما يبينه الكتاب

٩٦ صفحة ١٠٠ غرش

●

اميركا كما شاهدتها

ايليا اهرنبورغ

كتاب يحتوي على مشاهدات ايليا اهرنبورغ في بلاد الشيطان الاصفر وبلاد العجائب والغرائب .

لقد جاب ايليا اهرنبورغ الولايات المتحدة طولاً وعرضاً وعاد ليضع هذا الكتاب باسلوبه الساخر الجميل .

٨٠ صفحة ١٠٠ ق.ل

الحرب والسلم ملحمة شعرية

تصور فظاعة الحرب ومآسيها وروعة السلم وآفاقها الزاهية باسلوب شعري مشرق ، وقد ترجمت هذه الملحمة إلى اللغات الروسية والافرنسية والانكليزية والاسبانية ، ولأول مرة تصدر بلغتها الاصلية - العربية -

كتبها الشاعر العراقي كاظم السماوي قدم لها الدكتور جورج حنا .

٤٠ صفحة من الورق الممتاز ٥٠ ق.ل.

●

سنوات حاسمة

منذ عام ١٩٥١ دأب الكاتب السوفياتي الكبير ايليا اهرنبورغ على توديع العام الذاهب بتعليق على الحوادث والذكريات التي جرت في ذلك العام .

وكتاب سنوات حاسمة هو مجموعة التعليقات التي كتبت في بداية عام ١٩٥١ و١٩٥٢ و١٩٥٣ بالاضافة الى تعليقه الذي كتبه في الشهر الماضي والذي اسماه سنوات حاسمة .

ان كتاب سنوات حاسمة هو عبارة عن تاريخ للحوادث والمؤامرات كتبها ايليا اهرنبورغ باسلوبه المتهكم اللاذع .

٦٤ صفحة ٥٠ ق.ل

مع الناس

مجموعة قصص من صميم الحياة التي يحياها الناس ، تصور حالة المجتمع في سوريا خاصة وفي البلاد العربية عامة ، وتصل الى اعماق النفوس الكادحة والمعذبة لتحللها .

مع الناس هو الكتاب الأول من سلسلة رابطة الكتاب السوريين .

وضعه حسيب الكيالي ، قدم له مواهب الكيالي .

١٠٠ صفحة　　　　　　　　　　　　١٠٠ ق.ل.